



نظرة علمية في

أهل التبليغ والدعوة

تأليف الشيخ

أيمن أبو شادي

الإجازة العالية من كلية الشريعة

جامعة الأزهر الشريف

الإجازة بالأسانيد في الحديث والأصول والفقه والعقيدة







نظرة علمية



في

أهل التبليغ والدعوة

وبآخره ملحق لفتاوى ورسائل كبار العلماء

في العالم الإسلامي

في أهل التبليغ والدعوة

تأليف

الشيخ أيمن أبو شادي

الإجازة العالية من كلية الشريعة – جامعة الأزهر الشريف

الإجازة بالأسانيد في الحديث والأصول والفقه والعقيدة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع بدار الكتب

٢٠١٨/١٤٥٩٩

الرقم الدولي: 978-977-449-453-6

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابنا هذا...

عندما نخرج من المخلوق إلى الخالق...

نحن نتحصل على الهدى...

لأن التعلق بغير الله تعالى أعظم مفسدات القلب..

جميع الجهود المخلوقة نتحصل منها على المخلوق

وجهد الدين نتحصل منه على رضى الخالق ...

نحن لا نترك الجهود الدنيوية ...

ولكن نضيف إليها جهد الآخرة حتى يرضى الله عنا

وحتى يكون أمر الله معنا في حياتنا

جاء الأنبياء حتى يصححوا جهود الإنسانية...

وحتى يقولوا للناس أن الفلاح ليس في الملك والمال

ولكن في اليقين والأعمال...

الأنبياء ما طلبوا الملك والمال...

ولكن جاءوا بالجهد الذي نضحي فيه بأنفسنا وأموالنا

من أجل فوزنا ونجاحنا...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قاضي الحاجات، مجيب الدعوات ، غافر الزلاّت

الذي خضع الوجود لعزته، واستقام الملكوت بجبروته...

أول بلا أول ولا عن أول، وآخر بلا آخر ولا عن آخر...

وأصلي وأسلم وأبارك على صفوة خلقه وأكمل رسله وخير البرايا سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه الأكرمين السادات...

وبعد...

فأكبر مصيبة كانت بعد القرن الأول هو انحسار الدعوة...

في مجموعات قليلة خاصة، وخروج الدعوة العمومية من الأفراد عامة،

نحن المسلمين ماذا نقول لبعضنا؟ وكيف نبحث عن المفقود لنا ؟

وأين نجد الضائع منا؟ ماذا ذهب منا وماذا دخل فينا؟

الأمة المحمدية في العصور الأخيرة أصبحت تأكل كما يأكل الناس!

وتلبس كما يلبس الناس، وتموت كما يموت الناس!

أين مقاصد القرآن ؟ أين الحياة القرآنية ...؟

متى نحيا على المطلوب منا؟ ونحقق مقصد وجودنا...

حب المسلم لحياة ما سوى النبي صلى الله عليه وسلم

فيه الخوف على الإسلام.. ولن يحيا هذا الإسلام إلا بالدعوة إليه...

فالدعوة إلى الله تعالى هي جذر الإيمان في حياة المسلمين...

الصحابة رضي الله عنهم إيمانهم كان على الغاية...

يمكن للسماوات أن تقع على الأرض،

والأرض أن تعرج إلى السماء ولكن هم لا يتحولون...

إن ضياع الأموال واللذائذ الفانية من أيدي المسلمين ليس ضياعًا..

هي لا تساوي عند الله جناح بعوضة...

بل ضياع الدين والعلم النبوي الشريف هو الضياع...

لذلك من تهاون بالآداب حُرِم السُّنة، ومن تهاون بالسنة حُرِم الفرائض،

ومن تهاون بالفرائض حُرِم الإيمان...

فكيف نجمع بين الدعوة والتعليم والتزكية...،

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك،

في هذه الدنيا أعمال كثيرة ولها فوائد..،

بعض الجهود نتحصل على فائدتها مرة واحدة،

والبعض الآخر نتحصل على فوائدها للأبد..

والله تعالى لا ينظر إلى صورة من يجتهد، ولكن ينظر إلى عمله وكيف يجتهد "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"

يا بلبل الغصن الكسير..

كم للبكاء من الأنين..

وكم للجحود مخالب

تُدمي وجوه الناصحين..

وكم للضغينة من زوايا

تدعو لها في كل حين..

ويظل حرف المكر

يضحك ساخرًا للناظرين..

وأنا الذي من نسبتي

حُزتُ المكانة في العالمين..

أنا من أردت الخير سعيًا

خلف خير المرسلين..

فأتاني الخير راية عزتي

فاختم بخير يا إله العالمين..

خير لعُمرٍ ثم عمل والتُّقى

اجعله ربي خير أيام السنين..

أيمن أبو شادي



الشبهة الثامنة

الاعتراض على أهل الدعوة لاستدلالهم ببعض الأحاديث الضعيفة

لقد اعترض البعض على أهل الدعوة بسبب قيام بعضهم بالاستدلال بالأحاديث الضعيفة في أحاديثهم، التي يتكلمون بها في دعوتهم، بل قد غالى البعض منهم بأن آلى على نفسه، أن يقاطع كل متكلم منهم، حيث وجده يتكلم بهذه الأحاديث الضعيفة، لأنه بذلك -بزعمه- يزيد في دين الله ما ليس منه، وينسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، بنشره وترويجه لهذه الأحاديث الضعيفة، مما ينطبق عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم "**من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**" وهو حديث صحيح رواه أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد في المسند، كما روى الإمام أحمد أيضًا حديث النبي صلى الله عليه وسلم "**من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**"(١).

يقول هذا المعترض وأهل الدعوة يستدلون بهذه الأحاديث الضعيفة رغم علمهم بضعفها، وتحذيرنا لهم منها، متعللين بما ينقل عن بعض الأئمة من جواز العمل بالحديث الضعيف، مع إهمالهم لشروطهم في العمل بها، هذا إذا أحسنا الظن بهم أنهم يعلمون هذه الشروط، حيث لا يعلمها منهم إلا نادر النادرين، وأكثرهم يجهلونها ولا يعلمون عنها شيئًا، لأنهم لا علاقة لهم بعلم الحديث، ولا كيفية معرفة الصحيح من الضعيف، فأحدثوا في دين الله ما ليس منه، وأضافوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، وكفى زجرًا وتهديدًا لهم توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك بأن يتبوأ مقعده من النار" انتهى كلام هؤلاء المعترضين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

بعض الأصول الهامة
في علم مصطلح الحديث

ونحن قبل أن نشرع في الرد على الاعتراضات السابقة، لابد لنا من مقدمة هامة متعلقة بعلم الحديث، حتى نحرر مواضع الاتفاق والاختلاف في مواقف المعترضين، بالنسبة للأحكام المقررة في هذا العلم، لأئمة الدين الحفاظ المجتهدين، فنقول مستعينين بالله تعالى...

هنالك أصول هامة في علم المصطلح تتعلق بالحديث الضعيف، يحسن لمن يطالع في هذا العلم أن يكون مُلمًّا بأحكامها، ونذكر منها ما يتعلق ببحثنا...

ونبدأ ببيان تعريف الحديث الضعيف عند أئمة هذا الشأن، حيث يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى في كتابه **التقريب** مُعرفًا له: "**الضعيف وهو ما لم يجمع صفة الصحيح أو الحسن**" انتهى.

وقد عرَّفه بعض العلماء بأنه: "**ما فقد شرطًا أو أكثر من شروط القبول**".

وقد ذكر الإمام النووي أيضًا في التقريب أن (**ضعفه يتفاوت كصحة الصحيح**)، وذلك بحسب شدة ضعف رواته، فيكون من الضعيف أوهى، كما أن في الصحيح أصح.

قال الإمام ابن الصلاح: **وقد قسمه ابن حبان إلى خمسين قسمًا...**

قال شيخ الإسلام: **ولم نقف عليها...**

والحديث الضعيف منه ما له لقب خاص كالموضوع وهو أشرُّها...

والشاذ والمضطرب وغيرها.

وتتفاوت درجاته في الضعف بحسب بُعده عن شرائط القبول وشروط الصحة.

أما الحديث الموضوع: فهو المختلق أي **المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدًا**، وهو **شر أنواع الضعيف وأقبحه**، سواء عُرف الوضع بإقرار واضعه، أو بقرينة تؤخذ من حال الراوي كوقوعه ووجوده في أثناء إسناده وهو كذاب، ولم يُعرف ذلك الخبر إلا من جهته، ولا يتابعه عليه أحد، وليس له شاهد، أو من حال المروي أي متن الحديث، كركاكة بينة ظاهرة في ألفاظه أو معانيه، أو لمخالفته الصريحة لبعض آيات القرآن أو السُّنَّة المتواترة أو الإجماع القطعي أو صريح العقل...

ويحكم على الحديث بالوضع، سواء وضعه واضعه إضلالاً، أو تعصبًا أو إغرابًا أو احتسابًا أو اتباعا لهوى بعض الرؤساء، أو كان الوضع وهمًا وغلطًا.

وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه، لحديث مسلم "**من حدث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**".

والحديث الضعيف يختلف عن الحديث الموضوع، فهو أعم من الموضوع ويشمل الضعيف أنواعًا أخرى غير الموضوع، ممن قلت درجة عدالة راويه أو ضبطه، كما أن الضعيف لا يعبر عنه بأنه المكذوب أو ليس بحديث، بل لو جاء الضعيف وتعضد من طرق أخرى، مع الشروط المعتبرة المذكورة عن أهل هذا الشأن، قد يرتفع الضعيف إلى مرتبة الحسن لغيره، أو إلى مرتبة الصحيح لغيره، أما من يُخلِّط ويجمع الحديث الضعيف والموضوع تحت حكم واحد، فقد خالف قواعده وأخل بشروطه.

قال الإمام ابن الصلاح معلقًا على الفرق بين الضعيف والموضوع عند تعريف الموضوع: "**وهو المختلق المصنوع**"

اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة، ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان، إلا مقرونًا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب" انتهى.

قال الإمام السيوطي في "تدريب الراوي": إذا رأيت حديثًا بإسناد ضعيف، فلك أن تقول هو ضعيف بهذا الإسناد ولا تقل: ضعيف المتن، ولا ضعيف وتُطلق بمجرد ضعف ذلك الإسناد، فقد يكون له إسناد آخر صحيح، إلا أن يقول إمام: إنه لم يرو من وجه صحيح، أو ليس له إسناد يثبت به، أو إنه حديث ضعيف مُفَسِّرًا ضعفه، فإن أطلق الضعيف ولم يبين سببه ففيه كلام يأتي قريبًا" انتهى.

والحديث الضعيف الموصوف رواته بسوء الحفظ ونحوه، من أصوله أنه إذا تعددت طرقه ولو طريقًا واحدة أخرى، ارتقى بمجموع ذلك إلى درجة الحسن لغيره، وكان محتجًّا به ولكن بشروط وضوابط بيَّن بعضها الإمام ابن الصلاح في "علوم الحديث" حيث قال رحمه الله تعالى ص٧: "لعل الباحث الفهم يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رويت بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة مثل حديث " الأذنان من الرأس" ونحوه فهلا جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن لأن بعض ذلك عضد بعضًا كما قلتم في نوع الحسن على ما سبق آنفًا.

وجواب ذلك أنه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت فمنه ضعف يزيله ذلك، بأن يكون ضعفه ناشئًا من ضعف حفظ راويه، مع كونه من أهل الصدق والديانة.

فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه مما قد حفظه ولم يختل فيه ضبطه له. وكذلك إذا كان ضعفه من حيث الإرسال، زال بنحو ذلك كما في المرسل الذي يرسله إمام حافظ، إذ فيه ضعف قليل يزول بروايته من وجه آخر، ومن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب، أو كون الحديث شاذًّا. وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة. والله أعلم" انتهى كلام الإمام ابن الصلاح.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "النكت على ابن الصلاح" وهو يعلق على القسم الأول الذي ينجبر ضعفه بتعدد طرقه: "**لم يذكر للجابر ضابطًا يُعلم منه ما يصلح أن يكون جابرًا أو لا، والتحرير فيه أن يُقال: إنه يرجع إلى الاحتمال في طرفي القبول والرد، فحيث يستوي الاحتمال فيهما فهو الذي يصلح لأن ينجبر، وحيث يقوي جانب الرد فهو الذي لا ينجبر. وأما إذا رجح جانب القبول فليس من هذا الباب، بل ذاك في الحسن الذاتي والله أعلم**" انتهى كلام الإمام ابن حجر.

العمل بالحديث الضعيف
على ثلاثة مذاهب
وترجيح مذهب الجمهور

لقد كان عمل أئمة الحديث في التعامل مع الحديث الضعيف على **ثلاثة مذاهب**، أما نحن فكنا أشد في رد الحديث والاجتراء عليه من أئمة الحديث أنفسهم، فهم كانوا أورع الناس وأحرصهم على بيان الصحيح من الضعيف، ولكنهم مع ذلك لم يردُّوا الأحاديث الضعيفة بالكلية، وإنما اشتملت عليها كتبهم، **لأنهم أيقنوا أن الضعيف مع فقده لشرائط القبول، قد يكون صحيحًا في نفس الأمر، لجواز إصابة المخطئ، ولأن إقامة شرائط القبول من عدمها قائم على غلبة الظن فخافوا أو جزعوا أن يردوها بالكلية، خاصة ما يختص منها بفضائل الأعمال**، وهذا واضح وبينه أكثر من إمام من أئمة الحديث كالإمام أحمد وأبو داود، حيث ذهب إليه جمهور المحدثين كالذهبي والنووي وابن الجوزي وابن القيم والحاكم والخطيب البغدادي والبيهقي وغيرهم، فشملت تصانيفهم واحتوت على الكثير من الأحاديث الضعيفة، ولم يتحرجوا منها تحرجنا، ولم يدفعوها بالكلية كدفعنا، بل إنهم -رضي الله عنهم- حكموا عليها بعلم وأهلية ونظر واجتهاد، فقبلوها في موضع القبول، وجوزوا واستحبوا العمل بها، ومنعوا قبولها في مواضع الرد، فردوها ولم يبيحوا العمل بها، وقد كان هذا شأن جمهور أئمة الحديث ولله الحمد.

فإذا كان أهل الدعوة تابعين لجمهور المحدثين في قولهم، وما ذهبوا إليه، **فهم على القول الراجح في حكم العمل بالحديث الضعيف، وهو جواز ذلك في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص، ومنع ذلك في الأحكام وصفات الله تعالى، وما يجوز ويستحيل في حقه سبحانه**، والمعترض عليهم في ذلك الذي يمنع العمل بالحديث الضعيف مطلقاً، سواء في فضائل الأعمال أو الأحكام أو العقائد هو على القول المرجوح الضعيف، من أقوال أئمة الحديث في ذلك، فإن كان يدري فتلك مصيبة، **لأنه يرد القول الراجح لجمهور أئمة الحديث بالقول المرجوح الضعيف، وإن كان لا يدري فالمصيبة أعظم لأنه يتخذ القهر دليلاً، والتشغيب نصًّا ويجعل الضجيج مُرجحًا، أمام أقوال الأئمة المجتهدين الحفاظ المحدثين المحققين.**

قال الإمام اللكنوي في الأجوبة الفاضلة على الأسئلة العشرة الكاملة، مبيناً حكم الأئمة في العمل بالحديث الضعيف، حيث قال:

(تنبيه) هذه العبارات ونحوها الواقعة في كتب الثقات تشهد بتفرقهم في ذلك، فمنهم من منع العمل بالضعيف مطلقًا وهو مذهب ضعيف، ومنهم من جوزه مطلقًا، وهو توسع سخيف ومنهم من فصل وقيد وهو المسلك المسدد) انتهى كلام الإمام اللكنوي.

فقد بين -رحمه الله تعالى- في النص السابق عنه مذاهب أهل الحديث والأثر، في العمل بالحديث الضعيف وهي على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: "من منع العمل بالحديث الضعيف مطلقاً"، أي لا يعمل به في فضائل الأعمال ولا المواعظ ولا القصص ولا الأحكام أو العقائد، وقد علق الإمام اللكنوي على هذا المذهب الأول بقوله "**وهو مذهب ضعيف**"...

وعلى هذا المذهب الكثير من المنتسبين إلى علم الحديث من المعاصرين رغم ضعفه، وهو نفس مذهب المعترضين على أهل الدعوة فهم لا يُجوِّزون العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، حتى في فضائل الأعمال، ويعيبون على أهل الدعوة استعمالهم لبعض الأحاديث الضعيفة، في الترغيب والترهيب والفضائل ونحوها، ويطلبون منهم حذفها من كلامهم والإعراض عنها بالكلية، ويملئون الدنيا ضجيجًا عليهم لكونهم لا يستجيبون لهم في ذلك، رغم أن ما ذهبوا إليه هو القول الضعيف من ثلاثة مذاهب لأهل الحديث والأثر.

وحمل الناس على الأقوال الضعيفة غير سديد وكان الأولى بهم أن تتسع صدورهم للخلاف في هذه المسألة، بعدم التحامل على من خالفهم فيها خاصة **وأن ما اختاروه منها هو المذهب المرجوح عند جمهور المحدثين**...

وقد بين الإمام اللكنوي **المذهب الثاني في العمل بالحديث الضعيف عند أهل الحديث بقوله: "ومنهم من جوزه مطلقًا"** أي جوز العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص والأحكام والعقائد.

وقد عقب الإمام اللكنوي على ذلك المذهب بقوله **"وهذا توسع سخيف"** لأنه يعتمد في الأحكام والعقائد على ما لا يصح، وشأن الأحكام والعقائد في العمل فيها بالصحيح والحسن. وليس بالضعيف.

ثم ذكر الإمام اللكنوي **المذهب الثالث في العمل بالحديث الضعيف الذي هو مذهب جمهور المحدثين وهو قوله "ومنهم من فصل وقيد وهو المسلك المسدد"** أي فصَّل جواز العمل به في الفضائل والمواعظ والقصص، وقيد ذلك دون الأحكام والعقائد ورجح هذا المذهب بقوله "وهو المسلك المسدد".

وقد ذكر هذه "المذاهب الثلاثة" في العمل بالحديث الضعيف، قبل الإمام اللكنوي الحافظ السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع وسيأتي كلامه قريبًا كما ذكرها أيضًا الحافظ السخاوي في "فتح المغيث بشرح ألفية الحديث" حيث قال:

قال ابن عبد البر: أحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به.

وقال الحاكم: سمعت أبا زكريا العنبري يقول: الخبر إذا ورد لم يُحرم حلالاً، ولم يُحل حرامًا ولم يوجب حكمًا، وكان في ترغيب أو ترهيب: أغمض عنه وتسهل في رواته.

ولفظ ابن مهدي فيما أخرجه البيهقي في "المدخل" إذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والأحكام تشددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال..

ولفظ أحمد - في رواية الميموني عنه - الأحاديث الرقائق يحتمل أن يتساهل فيها حتى يجيء شيء فيه حكم.

وقال - في رواية عباس الدوري عنه - ابن إسحاق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث- يعني المغازي ونحوها - وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا- وقبض أصابع يده..

لكنه احتج رحمه الله بالضعيف حيث لم يكن في الباب غيره وتبعه أبو داود، وقدماه على الرأي والقياس ويقال عن أبي حنيفة أيضًا ذلك، وإن الشافعي يحتج بالمرسل إذا لم يجد غيره.

وكذا إذا تلقت الأمة الضعيف بالقبول يعمل به على الصحيح، حتى إنه يُنزّل منزلة المتواتر في أنه ينسخ المقطوع به، ولهذا قال الشافعي في حديث "لا وصية لوارث"[١]: إنه لا يُثبته أهل الحديث، ولكن العامة تلقّته بالقبول وعملوا به حتى جعلوه ناسخًا لآية الوصية.

---

(١) أخرجه الأربعة من حديث أبي أمامة وإسناده قوي وأخرجه أحمد وصححه الترمذي.

أو كان في موضع احتياط، كما إذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع أو الأنكحة، فإن المستحب- كما قال النووي - إنه يتنزَّه عنه ولكن لا يجب.

ومنع ابن العربي العمل بالضعيف مطلقًا. ولكن قد حكى النووي في عدَّة من تصانيفه إجماع أهل الحديث وغيرهم على العمل به في الفضائل ونحوها خاصة. فهذه ثلاثة مذاهب" انتهى كلام الإمام السخاوي.

وقد ذكر هذه "المذاهب الثلاثة" في العمل بالحديث الضعيف، الإمام السيوطي في تدريب الراوي شرح تقريب النواوي ج١ ص٢٩٨ عند قول الإمام النووي في التقريب "ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام ومما لا تعلق له بالعقائد والأحكام" انتهى.

وهذا الذي قرره الإمام النووي هو قول الجمهور وهو المذهب الثالث الذي ذكره اللكنوي، وقد رجحه بقوله وهو المسلك المسدد..

وقد قام الإمام السيوطي بشرح العبارة السابقة التي تبين قول الجمهور والمذهب الثالث، الذي هو المذهب الراجح حيث قال في تدريب الراوي. (ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد) الضعيفة (ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى) وما يجوز ويستحيل عليه وتفسير كلامه

(والأحكام **كالحلال والحرام**) وغيرهما وذلك كالقصص وفضائل الأعمال والمواعظ وغيرهما. (**مما لا تعلق له بالعقائد والأحكام**) ومن نقل عنه ذلك: ابن حنبل وابن مهدي وابن المبارك، **قالوا: إذا روينا في الحلال والحرام شددنا وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا**) انتهى كلام الإمام السيوطي.

وقد ذكر الإمام السيوطي ص٢٩٩ المذهب الأول في العمل بالحديث الضعيف الذي هو المذهب المرجوح الضعيف حيث قال: (**وقيل لا يجوز العمل به مطلقًا، قاله أبو بكر بن العربي**) وهذا الذي عقب عليه الإمام اللكنوي بقوله السابق وهذا مذهب ضعيف..

ثم ذكر الإمام السيوطي في تدريب الراوي أيضًا ص ٢٩٩ المذهب الثاني في العمل بالحديث الضعيف حيث قال: (**وقيل يعمل به مطلقًا، وتقدم عزو ذلك إلى أبي داود وأحمد وأنهما يريان ذلك أقوى من رأي الرجال**) انتهى كلام الإمام السيوطي.

وهذا المذهب الذي عقب عليه الإمام اللكوني بقوله السابق: "**وهذا توسع سخيف**"...

جواز واستحباب العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال من غير بيان ضعفه

بعد أن استعرضنا فيما سبق مذاهب أئمة الحديث، في العمل بالحديث الضعيف، وتأسيسًا على كلامهم نقول: إذا كان العمل بالحديث الضعيف جائزًا في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص دون الأحكام أو العقائد، وهو قول جمهور المحدثين وهو المذهب الراجح، فما بال المعترضين يشغبون على أهل الدعوة في ذلك، وما بالهم يعيبون مسلكهم، وهو المسلك المسدد على قول الإمام اللكنوي، وماذا لو رأينا أن أحد كبار أئمة الحديث والفقه والتحقيق، وهو شيخ الإسلام الإمام النووي، يضيف بجانب وصف الجواز وصفًا آخر، وهو استحباب العمل بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال ونحوها، لا في الأحكام أو العقائد، وينسب هذا الحكم إلى العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم، وإذا لم يُستحب لأهل الدعوة تقليد هؤلاء الأئمة فمن يقلدون، وها هي عبارته من كتاب الأذكار حيث قال رحمه الله ص ٧ – ٨ **(قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم: "يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعًا، وأما الأحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن، إلا أن يكون في احتياط في شيء من ذلك**" انتهى كلام الإمام النووي.

فإذا أجاز واستحب العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم، وأولهم الإمام النووي العمل بالحديث الضعيف، في الفضائل والترغيب والترهيب، فبربك ماذا نقول للذي يمنع ويُحرم ذلك، ويقيم على ذلك الدنيا ولا يقعدها، ويشيع العداوات والخصومات، والتقاطع والتنافر على ذلك، وإذا كان هذا قول الجمهور من العلماء والمحدثين والفقهاء، وهو القول الراجح فما بال المعترضين على أهل الدعوة، يدّعون أنه قول بعض الأئمة لا قول الجمهور، على سبيل تضعيفه، وما بالهم يعيبون من يعمل به، ويحملون الناس على القول المرجوح، وهو عدم العمل بالحديث الضعيف مطلقاً مع وصف الإمام اللكنوي لهذا القول بأنه مذهب ضعيف؟

وإذا كان الأئمة من العلماء والمحدثين والفقهاء قد جوزوا التساهل في إسناد الضعيف، وروايته حتى من غير بيان ضعفه، فلماذا الآن، نرى الجامدين على المذهب الأول الضعيف، يُضيقون الواسع، ويُعسرون السهل اليسير، فيمنعون ابتداءً ذكر الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، وإذا أجازوا التكلم بها والتحدث عنها، اشترطوا مع ذلك أن يُبين المتكلم والمتحدث بها ضعفها..

فإن لم يفعل قاطعوا حديثه، وبكّتوه ولاموه أمام المستمعين بقولهم "يا شيخ هذا حديث ضعيف لابد لك أن تذكر ذلك"، مع أن أئمة الحديث وحفاظ الأمة، وأهل هذا الشأن لم يشترطوا ذلك في الحديث الضعيف، بل اشترطوه في الموضوع، في أي نوع كان سواء في الفضائل أو الأحكام أو العقائد، والذي يشترط بيان ضعف

الحديث حتى وإن كان في فضائل الأعمال، إنما يُدخل الضعيف في أحكام الموضوع، ويسوي بينهما في التقييد والطرح والمنع..

على أننا نقول إن الأئمة الذين أوردوا الحديث الضعيف في مصنفاتهم في الفضائل ونحوها أكثرهم لم ينص على ضعفه فيها، ولم يُبينوا عدم صحته عندها، لأن هذا مما رأوا التساهل فيه والتغاضي عنه، لكونه مأمون الجانب قليل الخطر، وإذا أحببت أن تعرف مصداق صنيعهم في ذلك، فانظر إلى كتب الفضائل لابن القيم والذهبي وابن كثير وابن تيمية والسيوطي والنووي وابن الجوزي وعبد الله بن المبارك والإمام أحمد والبيهقي والقرطبي وابن عبد البر وغيرهم من كبار الحفاظ، فإن ذلك معلوم في مصنفاتهم مشتهر فيها، وقد تغاضوا في إيرادهم للأحاديث في المواعظ والفضائل والقصص عن بيان ضعفها، لما تقرر مما سبق عندهم من التساهل في ذلك، وعدم التشديد فيه، وإن أبى ذلك المعاصرون، وخالف صنيعهم المتأخرون، وإليك تأكيد ذلك من أحد أئمة الحديث، شيخ الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وهو الإمام الحافظ العراقي رحمه الله تعالى

حيث قال في ألفية الحديث :

وسهَّلوا في غير موضوع رووا
من غير تبيين لضعف ورأوا
بيانه في الحكم والعقائد
عن ابن مهدي وغير واحد

قال في شرح ألفية الحديث: "وأما غير الموضوع فجوزوا التساهل في إسناده وروايته من غير بيان لضعفه إذا كان في غير الأحكام والعقائد بل في الترغيب والترهيب من المواعظ والقصص وفضائل الأعمال ونحوها[1]، أما إذا كان في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرهما، أو في العقائد كصفات الله تعالى وما يجوز ويستحيل عليه، ونحو ذلك فلم يروا التساهل في ذلك.

وممن نص على ذلك من الأئمة: عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل، وعبد الله بن المبارك وغيرهم" انتهى. وقد وافقه على ذلك شراح الألفية.

---

(١) أي ثبوت أصل الأحكام.

وقد سبق الحافظ العراقي في ذلك الإمام ابن الصلاح والإمام النووي وغيرهم من أئمة الحديث وحفاظ السنة، ولم يشترطوا عند ذكر الحديث الضعيف في فضائل الأعمال ونحوها بيان ضعفه، بل جوزا التحدث به من غير بيان هذا الضعف.

وهذا تأكيد ما سبق عن الحافظ العراقي مما نص عليه الإمام ابن الصلاح في مقدمته في علوم الحديث، وهو عدم الاهتمام ببيان ضعف الأحاديث عند التحدث بها في الفضائل ونحوها، حيث قال -رحمه الله تعالى- ص٤٩: "**يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها، فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما. وذلك كالمواعظ والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد. وممن روينا عنه التنصيص على التساهل في نحو ذلك عبد الرحمن بن مهدي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما**" انتهى كلام الإمام ابن الصلاح.

فإن كان بعض المعاصرين يشترطون بيان ضعف الأحاديث، حتى في فضائل الأعمال ويشترطون عدم التحدث بها، إلا بعد التنبيه على هذا الضعف...

فمن أولى أجدر بالاتباع والتقليد في ذلك، الإمام ابن الصلاح إمام علم المصطلح، أم غيره من المتأخرين، ومن الذي قامت الحجة على قبول قوله لأهليته واجتهاده، الإمام ابن الصلاح أم غيره من المتأخرين، الذين لم تقم الحجة على قبول أقوالهم، بل إن كلامهم في هذا العلم الشريف علم الحديث عليه الكثير من المؤاخذات، والأخذ والرد، ولا يزال ذلك مُستعرًا حتى وقتنا هذا...

ومن هو المحمود في تقليده وفقًا لكلام أئمة الأصول في هذا الباب، أهو الإمام ابن الصلاح "**الذي قامت الحجة على قبول قوله دون معرفة دليله معرفة تامة**" وهذا هو التقليد المحمود...

أم غيره من المعاصرين الذين لم يبلغوا هذه الرتبة، وتلك الدرجة، **والذين يقع تقليدهم تحت ضابط التقليد المذموم** "وهو تقليد من لم تقم الحجة على قبول قوله دون معرفة دليله معرفة تامة"...

ومن اللائق بوقوعه تحت وصف هذا التقليد المذموم، من قلد الإمام ابن الصلاح صاحب الاجتهاد والأهلية، أم من قلد غيره من المعاصرين، الذين لا اجتهاد لهم ولا أهلية ولا قيام للحجة لقبول أقوالهم.

ونزيد الأمر وضوحًا وبيانًا، بنص كلام شيخ الإسلام الإمام النووي، حيث وافق ما سبق عن أئمة الحديث، وقرره في التقريب تبعًا لابن الصلاح وغيره من المحدثين، حيث قال رحمه الله تعالى:

"ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام" انتهى كلام الإمام النووي.

فهل هذه النصوص عن أئمة الإسلام وحفاظ السنة خافية على من يعترض على أهل الدعوة في ذلك، فصار يشترط على المتكلمين منهم بيان ضعفها، عند التحدث بها؟ ولا يُجيز أو يُسوغ لهم التحدث بها دون بيان ذلك...!

وإذا اختلف كلام بعض المعاصرين مع أئمة السُّنَّة والحديث، من نرجح حينئذ؟ ومن الأولى بترجيح كلامه واتباعه؟...

الإمام ابن الصلاح والإمام النووي والحافظ العراقي شيخ الحافظ ابن حجر وغيرهم، وهم أئمة السلف، وأهل هذا الشأن وأصحاب هذه الصناعة، أم بعض المعترضين من المعاصرين...

ومن نُغلب في ذلك، رجحان الاجتهاد في جانب عن أئمة الحديث المجتهدين، أم جانب الاحتمال في قولٍ للأخ فلان أو فلان..

أهل الدعوة على القول الراجح في العمل بالحديث الضعيف بخلاف غيرهم

إذا كان هنالك هذا الفارق الكبير في الحفظ والاجتهاد والأهلية، والبحث والنظر والاستدلال، بين الأئمة وهؤلاء المعاصرين، فنحن لا يسعنا إلا أن نرجح من أطبقت الأمة على تقدمهم، وإمامتهم وعلمهم واجتهادهم...

على من لا يدانيهم أو يساويهم في ذلك، ونرى أن تقليد عموم جماهير الأمة لمن قامت الحجة على قبول أقوالهم، أجدر وأسلم من غيرهم ممن لم يتصف بذلك...

فعلى هذا نحن نرى أن لأهل الدعوة في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب والمغازي والسير، قدم صدق، وسبيل هدى وحق، باتباعهم لأئمة الدين وحفاظ السنة في ذلك، وأن الخلاف في هذه المسألة معهم ولصالحهم، بل هم على القول الراجح الصحيح فيها..

وعلى المعترضين عليهم أن ينصفوا من أنفسهم في ذلك، بأن يحققوا أولاً: أن هنالك خلافًا في هذه المسألة...

وأن يعلموا ثانيًا : أن راجح الخلاف مع غيرهم لا معهم.

فإذا ما تحققوا من ذلك، توصلوا إلى الإجابة الصحيحة في الواجب على ما يعمل به الإنسان في خاصة نفسه، وأن هذه الإجابة تفيد بأن العمل بالراجح والمشهور واجب في الاختيار، لقوله تعالى ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾.

ومقابل هذا الراجح يسمى بالضعيف وقد عرفه العلامة محمد ابن قاسم القادري الحسني في كتابه "رفع العتاب والملام عمن قال العمل بالضعيف اختيارًا حرام" بقوله ص١٩: "**فالضعيف حينئذ هو: "ما لم يقو دليله بأن يكون عارضه ما هو أقوى منه" فيكون ضعفه نسبيًا، أي : ضعيف بالنسبة لما هو أقوى منه وإن كان له قوة في نفسه، أو يكون خالف الإجماع أو القواعد أو النص أو القياس الجلي، فيكون ضعيفًا في نفسه، ويسمى هذا القسم الثاني من الضعيف بـــ"ضعيف المدرك"** انتهى.

ومسألتنا هذه من هذا القسم، حيث أن القول بعدم العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، سواء في فضائل الأعمال أو الأحكام أو العقائد، قول ضعيف المدرك، لأنه مخالف للإجماع المنقول عن بعض أئمة الحديث بجواز ذلك، منهم الإمام النووي والإمام ابن حجر الهيتمي وغيرهم...

وقد نقل العلامة محمد بن قاسم ص٣٠ عن القاضي أبو سالم اليزناسني في بعض أجوبته ونصه: والترجيح بوفاق الأكثر في المنقولات الظنية متفق عليه عند كل قائل بالترجيح، وهم الكافة، إلا من لا يؤبه به، -أي لا يعتد به- عملاً بما أخرجه الترمذي والنسائي من قوله صلى الله عليه وسلم "**يد الله مع الجماعة**" انتهى.

ووفاق الأكثر في مسألتنا هذه هو جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، لا في الأحكام أو العقائد، وهذا مذهب الجمهور وقد سبق أن الإمام النووي رحمه الله قد نقل الإجماع عليه، في الجزء الذي جمعه في إباحة القيام لأهل الفضل وذلك بقوله: "**أجمع أهل الحديث وغيرهم على العمل في الفضائل ونحوها مما ليس فيه حكم ولا شيء من العقائد وصفات الله تعالى بالحديث الضعيف**" انتهى.

على أننا ننصح من لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد، ويهتم بهذه المباحث، وهو ما زال في طور التقليد، بكلام الإمام محمد عليش المالكي، ونصه في مسائل الطلاق من أجوبته وقد نقله عنه العلامة محمد بن قاسم في كتابه السابق ص٣٤ حيث قال **قال الإمام محمد عليش: "الراجح أو المشهور حجة علينا ما دمنا في ربقة التقليد قال: ونظرنا في الأدلة والاتفاق والاختلاف فضول، إذ وظيفتنا محض التقليد واتباع الراجح أو المشهور والله سبحانه وتعالى أعلم**" انتهى.

والراجح في مسألتنا هذه هو قول الجمهور، بجواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وننهي الكلام فيما سبق بما نقله العلامة محمد بن قاسم في كتابه أيضًا ص٣٤ **عن العلامة ابن السبكي حيث قال: ولنختم هذا الفصل بكلام العلامة ابن السبكي في "جمع الجوامع" ليكون كلامه لكلام الأئمة المتقدمين كالطابع، ونص المقصود منه ممزوجًا بشرحه: "والعمل بالراجح واجب بالنسبة للمرجوح فالعمل به**

ممتنع سواء كان الرجحان قطعيًّا أو ظنيًّا" انتهى منه في كتاب التعادل والترجيح.

هذا وقد سوغ العلماء في باب الوعد والوعيد رواية الأحاديث وإن كانت ضعيفة الإسناد بخلاف الأمر والنهي.

وهو ما أورده الإمام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج٥ ص١٩٣ حيث قال رحمه الله: "ولهذا سوغ العلماء أن يروي في باب الوعد والوعيد من الأحاديث ما لم يعلم أنه كذب وإن كان ضعيف الإسناد بخلاف باب الأمر والنهي فإنه لا يؤخذ فيه إلا بما يثبت أنه صدق" انتهى كلام الإمام ابن تيمية.

كما قرر أئمة الحديث والسنة، أن الحديث الضعيف لا يُدفع وإن لم يُحتج به، لأنه قد يكون ضعيف الإسناد، إلا أنه صحيح المعنى.

وهو ما بينه الإمام الحافظ ابن عبد البر في التمهيد ج١ ص٥٨ بعد أن أورد حديثًا ضعيف الإسناد: حيث قال رحمه الله: "**هذا إسناد فيه ضعف لا تقوم به حجة، ولكنا ذكرناه ليعرف والحديث الضعيف لا يدفع وإن لم يحتج به، ورب حديث ضعيف الإسناد صحيح المعنى**" انتهى.

بل إن بعض أئمة الحديث كما ذكرنا من قبل، قد نقلوا الإجماع على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وهو ما نص عليه الإمام السيوطي في شرح سنن ابن ماجه ج١ ص٩٨ حيث قال رحمه الله تعالى: "**أجمعوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال**".

وقد نقل هذا الإجماع قبله الإمام النووي على العمل بالحديث الضعيف في الفضائل في الجزء الذي جمعه في إباحة القيام لأهل الفضل..

حيث قال رحمه الله تعالى: "أجمع أهل الحديث وغيرهم على العمل في الفضائل ونحوها مما ليس فيه حكم ولا شيء من العقائد وصفات الله تعالى بالحديث الضعيف" انتهى.

وكأنه رحمه الله تعالى قد لاحظ أن هذا هو الواقع فيما حرروه وشرحوه من كتب ومصنفات، وقبولهم له في فضائل الأعمال..

ولسائل أن يسأل لم جوز الأئمة رضي الله عنهم واستحبوا العمل بمقتضى الحديث الضعيف، مع ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة؟ ولم نقل بعضهم الإجماع على جواز ذلك؟

وللإجابة على هذا التساؤل نقدم بين يديه بمقدمة لطيفة تفتح الأذهان، وتشرح الصدور للحكمة في صنيعهم هذا، وهم أئمة الرواية والدراية وأهل الجرح والتعديل، فنقول وبالله التوفيق: **قال الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ: "هذه تذكرة بأسماء معدلي حملة العلم النبوي ومن يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق والتضعيف والتصحيح والتزييف"**. انتهى كلام الإمام الذهبي

فقرر -رضي الله عنه- وهو إمام الجرح والتعديل، وصاحب الاستقراء التام في تتبع الرجال، أن التصحيح والتضعيف والتوثيق والتزييف راجع إلى اجتهاد المجتهدين، أي على غلبة ظنهم في ذلك، فإذا ما حكموا بناءً على اجتهادهم على حديث بأنه صحيح، فمعناه

أنهم صححوه عملاً بظاهر الإسناد، وغلبة الظن، لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر، فقد يخطئ من هو كثير الضبط، وإذا حكموا على حديث بناءً على اجتهادهم بأنه ضعيف، فمعناه أنهم ضعفوه لعدم وجود شرائط القبول، وعملاً بظاهر الإسناد، وعلى غلبة الظن في ذلك، لا أنه مقطوع بكذبه في نفس الأمر، لجواز أن يصيب من هو كثير الغفلة، وعلى ما سبق من أصول، كان تقرير الأئمة الحفاظ في مصنفاتهم وتأكيدهم لهذه الأصول.

قال الإمام السيوطي في تدريب الراوي ص٧٥: "**وإذا قيل هذا حديث صحيح فهذا معناه أي: ما اتصل سنده مع الأوصاف المذكورة فقبلناه عملاً بظاهر الإسناد لا أنه مقطوع به في نفس الأمر لجواز الخطأ أو النسيان على الثقة خلافًا لمن قال: إن خبر الواحد يوجب القطع)** انتهى.

وقال الإمام السيوطي أيضًا في تدريب الراوي ص٧٥ - ٧٦ "**وإذا قيل هذا حديث غير صحيح لو قال ضعيف لكان أفضل وأسلم من دخول الحسن فمعناه لم يصح إسناده على الشرط المذكور لا أنه كذب في نفس الأمر، لجواز صدق الكاذب وإصابة من هو كثير الخطأ**" انتهى كلام الإمام السيوطي.

قال الحافظ العراقي في شرح ألفية الحديث ص٩ وهو يقرر ما سبق عن أصول أئمة الجرح والتعديل وحفاظ الحديث: "**حيث قال أهل الحديث هذا حديث صحيح فمرادهم فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الإسناد لا أنه مقطوع بصحته في نفس الأمر لجواز الخطأ والنسيان على الثقة هذا هو الصحيح الذي عليه أكثر أهل العلم خلافًا لمن قال إن خبر الواحد يوجب العلم الظاهر كحسين الكرابيسي وغيره وحكاه ابن الصباغ في العدة عن قوم من أصحاب الحديث قال القاضي أبو بكر الباقلاني إنه قول من لا يحصل علم هذا الباب اهـ.**

نعم إن خرجَّه الشيخان أو أحدهما ذاختار ابن الصلاح القطع بصحته وخالفه المحققون كما سيأتي وكذا قولهم هذا حديث ضعيف فمرادهم لم تظهر لنا فيه شروط الصحة لا أنه كذب في نفس الأمر لجواز صدق الكاذب وإصابة من هو كثير الخطأ" انتهى كلام الحافظ العراقي.

فكان الحكم على الحديث بالصحة أو الضعف، إنما هو على غلبة الظن والاجتهاد وعملاً بظاهر الإسناد، لا على القطع في ذلك، وهذا تأكيد الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى على ما سبق عن أئمة الحديث في نيل الأوطار ج٩ ص ٢ حيث قال:

"**والحاصل أن أحاديث التوقيت وإن لم يكن شيء منها على شرط الصحيح إلا أن المحكوم عليه بعدم الصحة إنما هو في ظاهر الأمر لا في الواقع فيمكن أن يكون الصحيح ضعيفًا والضعيف صحيحًا لأن الكذوب قد يصدق والصدوق قد يكذب فاجتناب ما أرشد الحديث الضعيف إلى اجتنابه واتباع ما أرشد إلى اتباعه من مثل هذه الأمور ينبغي لكل عارف وإنما الممنوع إثبات الأحكام التكليفية أو الوضعية أو نفيها بما هو كذلك**" انتهى.

خبر الواحد الثقة
حُجة
يلزم العمل بها

من أصول أئمة السنة والحديث أيضًا أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم، وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل، أما من قال أنه يوجب العلم فهو مكابر للحس، وكيف يحصل به العلم، واحتمال الغلط والوهم والكذب وغير ذلك متطرق إليه، وهو ما قرره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم ج١ ص ١٣١ عن جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعهدهم، من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول حيث قال رحمه الله: "**وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء أكان الراوي له واحدًا أو أكثر، واختلف في حكمه فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل وذهبت القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر إلى أنه لا يجب العمل به ثم منهم من يقول منع من العمل به دليل العقل ومنهم من يقول منع دليل الشرع وذهبت طائفة إلى أنه يجب العمل به من جهة دليل العقل وقال الجبائي من المعتزلة لا يجب العمل إلا بما رواه اثنان عن اثنين وقال غيره لا يجب العمل إلا بما رواه أربعة عن أربعة وذهبت طائفة من أهل الحديث إلى أنه يوجب العلم وقال بعضهم يوجب العلم الظاهر دون الباطن وذهب بعض المحدثين إلى أن الآحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من**

الآحاد وقد قدمنا هذا القول وإبطاله في الفصول وهذه الأقاويل كلها سوى قول الجمهور باطلة وإبطال من قال لا حجة فيه ظاهر فلم تزل كتب النبي صلى الله عليه وسلم وآحاد رسله يعمل بها ويلزمهم النبي صلى الله عليه وسلم العمل بذلك واستمر على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ولم تزل الخلفاء الراشدون وسائر الصحابة فمن بعدهم من السلف والخلف على امتثال خبر الواحد إذا أخبرهم بسنة وقضائهم به ورجوعهم إليه في القضاء والفتيا ونقضهم به ما حكموا به على خلافه وطلبهم خبر الواحد عند عدم الحجة ممن هو عنده واحتجاجهم بذلك على من خالفهم وانقياد المخالف لذلك وهذا كله معروف لا شك في شيء منه والعقل لا يحيل العمل بخبر الواحد وقد شاع وجوب العمل به فوجب المصير إليه وأما من قال يوجب العلم فهو مكابر للحس وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم والكذب وغير ذلك متطرق إليه والله أعلم"

انتهى كلام الإمام النووي.

أقول: فالذي يتحصل من الأصول السابقة أنه لو كان الحكم على الحديث إنما هو بالاجتهاد وعملاً بظاهر الإسناد وغلبة الظن، لا بالقطع بذلك في واقع الأمر، لجواز الإصابة والخطأ على المجتهدين في ذلك، فقد عمد الأئمة على الحكم بجواز العمل بالحديث الضعيف بالاتفاق في فضائل الأعمال، تحرزًا واحتياطًا أن يكون صحيحًا في نفس الأمر وفي واقع الحال، فيكونوا قد أعطوه حقه من العمل والاهتمام، فإن لم يكن صحيحًا في واقع الأمر لم يترتب على العمل

به، في باب الفضائل والمواعظ والسير والترغيب والترهيب أي مفسدة، في تحليل شيء أو تحريمه أو ثبوت حق أو ضياعه للغير.. وفي ذلك يقول الإمام ابن حجر الهيتمي في شرح الأربعين النووية "المسمى بالفتح المبين":

"قد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال لأنه إن كان صحيحًا في نفس الأمر فقد أعطى حقه من العمل به[1]، وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة تحليل ولا تحريم ولا ضياع حق للغير" انتهى.

قال الإمام اللكنوي في الأجوبة الفاضلة ص٤٣ معلقًا عليه:

"وأشار المصنف بحكاية الإجماع- على ما ذكره- إلى الرد على من نازع فيه بأن الفضائل إنما تتلقى من الشرع فإثباتها بالحديث الضعيف اختراع عبادة، وشرع في الدين ما لم يأذن به الله ووجه رده: أن الإجماع - لكونه قطعيًا تارة- وظنيًا ظنًا قويًا تارة- لا يرد بمثل ذلك، لو لم يكن عنه جواب، فكيف وجوابه واضح، إذ ذلك ليس من باب الاختراع في الشرع، وإنما هو ابتغاء فضيلة ورجاؤها بأمارة ضعيفة، من غير ترتب مفسدة عليه كما تقرر" انتهى كلامه.

---

(١) لفظ (من العمل به) زيادة من "شرح الأربعين".

وقد بين الإمام اللكنوي في الأجوبة الفاضلة تفصيليا ص٥٧ نقلاً عن المحقق جلال الدين الدواني في رسالته: "أنموذج العلوم"

كيف استُحب العمل بمقتضى الضعيف مع ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة.

حيث قال رحمه الله: "قوله: والذي يصلح للتعويل: أنه إذا وجد حديث ضعيف في فضيلة عمل من الأعمال، ولم يكن هذا العمل مما يحتمل الحرمة أو الكراهة فإنه يجوز العمل به ويستحب، لأنه مأمون الخطر ومرجو النفع إذ هو دائر بين الإباحة والاستحباب، فالاحتياط العمل به رجاء الثواب.

وأما إذا دار بين الحرمة والاستحباب فلا وجه لاستحباب العمل به.

وأما إذا دار بين الكراهة والاستحباب فمجال النظر فيه واسع، إذ في العمل دغدغة الوقوع في المكروه، وفي الترك مظنة ترك المستحب: فلينظر:

إن كان خطر الكراهة أشد بأن تكون الكراهة المحتملة شديدة، والاستحباب المحتمل ضعيفًا، فحينئذ يرجح الترك على العمل، فلا يستحب العمل به.

وإن كان خطر الكراهة أضعف بأن تكون الكراهة- على تقدير وقوعها- كراهة ضعيفة دون مرتبة ترك العمل- على تقرير استحبابه- فالاحتياط العمل به.

وفي صورة المساواة: يحتاج إلى نظر تام، والظن أنه يستحب أيضًا لأن المباحات تصير بالنية عبادة، فكيف ما فيه شبهة الاستحباب لأجل الحديث الضعيف.

فجواز العمل واستحبابه مشروطان: أما جواز العمل فبعدم احتمال الحرمة وأما الاستحباب: فبما ذكرناه مفصلا.

بقي ههنا شيء، وهو أنه إذا عدم احتمال الحرمة فجواز العمل ليس لأجل الحديث، إذ لو لم يوجد الحديث يجوز العمل أيضًا، لأن المفروض انتفاء الحرمة. لا يقال: الحديث الضعيف ينفي احتمال الحرمة، لأنا نقول: الحديث الضعيف لا يثبت به شيء من الأحكام الخمسة، وانتفاء الحرمة يستلزم ثبوت الإباحة، والإباحة حكم شرعي فلا يثبت بالحديث الضعيف، ولعل مراد النووي ما ذكرنا وإنما ذكر جواز العمل توطئة للاستحباب وحاصل الجواب: أن الجواز معلوم من خارج والاستحباب أيضًا معلوم من القواعد الشرعية الدالة على استحباب الاحتياط في أمر الدين فلم يثبت شيء من الأحكام بالحديث الضعيف، بل أوقع الحديث الضعيف شبهة الاستحباب فصار الاحتياط أن يعمل به، واستحباب الاحتياط معلوم من قواعد الشرع. انتهى كلام الدواني.

وقد وضح الإمام اللكنوي أيضًا أصول أئمة الحديث في هذه المسألة وهي قبول الضعيف في ثبوت الاستحباب أو الجواز، ولم رجح الأئمة رضي الله عنهم قبوله في ذلك مع بيان الشروط اللازمة والمطلوبة لقبوله فقال -رحمه الله تعالى- في ظفر الأماني شرح مختصر الجرجاني ص١٩٥:

"والذي يظهر بعد التأمل الصادق هو قبول الضعيف في ثبوت الاستحباب وجوازه فإذا دل حديث ضعيف على استحباب شيء أو جوازه ولم يدل دليل آخر صحيح عليه وليس هناك ما يعارضه ويرجح عليه قبل ذلك وجاز العمل بما أفاده والقول باستحباب ما دل عليه أو جوازه، غاية ما في الباب أن يكون مثل هذا الاستحباب والجواز أدون رتبة من الاستحباب والجواز الثابت بالأحاديث الصحيحة والحسنة ويشترط قبوله بشروط: أحدها: ما أشرنا إليه من فقدان دليل آخر أقوى منه معارضًا له فإذا دل حديث صحيح أو حسن على كراهة عمل أو حرمته والضعيف على استحبابه وجوازه فالعمل يكون بالأقوى والقول بمفاده أحرى.

وثانيها: أن لا يكون الحديث شديد الضعف بأن تفرد بروايته شديد الضعف كالكذاب وفاحش الغلط، والمغفل، وغير ذلك لأن كون السند شديد الضعف مع عدم ما يجبر به نقصانه يجعله في حكم العدم ويقربه إلى الموضوع والمخترع الذي لا يجوز العمل به بحال.

وثالثها: أن يكون ما ثبت به داخلاً تحت أصل كلي من الأصول الشرعية، غير مخالف للقواعد السنية، لئلا يلزم إثبات ما لم يثبت شرعًا به، فإنه إذا كان ما دل عليه داخلاً في الأصول الشرعية، وغير مناقض لها فنفس جوازه ثابت بها، والحديث الضعيف الدال عليه يكون مؤكدًا له وكذا الاستحباب فإن الجائزات تصير بحسن النية عبادة، فكيف إذا وجد ما فيه شبهة ثبوت الاستحباب.

ورابعها: أن لا يعتقد العامل به ثبوته بل الخروج عن العهدة بيقين، فإنه إن كان صحيحًا في نفس الأمر فذاك، وإلا لم يترتب على العمل به فساد شرعي.

وقس عليه إذا دل الحديث الضعيف على كراهة عمل لم يدل على استحبابه دليل آخر فيؤخذ به ويعمل بمفاده احتياطًا، فإن ترك المكروه مستحب وترك المباح لا بأس فيه شرعًا وبهذا كله يظهر لك دفع الإشكال الذي تهدي للجواب عنه الدوائي والخفاجي، وسلك كل منهما مسلكًا مغايرًا لمسلك الآخر.

وخلاصة الكلام، الرافع للأوهام، هو أن ثبوت الاستحباب، أو الكراهة- التي هي في قوة الاستحباب- أو الجواز بالحديث الضعيف مع الشروط المتقدمة: لا ينافي قولهم: أنه لا يثبت الأحكام الشرعية، فإن الحكم باستحباب شيء دل عليه الضعيف أو كراهته احتياطي، والحكم بجواز شيء دل عليه تأكيد لما ثبت بدلائل آخر، فلا يلزم منه ثبوت شيء من الأحكام.

في نفس الأمر ومن حيث الاعتقاد، نعم لو لم تلاحظ الشروط المتقدمة لزم الإشكال البتة ولعلك تعظني في هذا البيان الصريح، والتبيان الرفيع: دفع ما يتوهم من صنيع الفقهاء والمحدثين حيث يثبتون الاستحباب ونحوه بالأحاديث الضعيفة في مواضع كثيرة ويستنكفون عنه في مواضع كثيرة وهل هذا إلا تعارض وتساقط.

وجه الدفع أن المواضع التي أثبتوا فيها الاستحباب بالضعيفة هي ما لم يطلعوا على شدة الضعف في أحاديثها وعلموا أن ما أفادتها داخلاً تحت أصول شرعية يعتمد عليها فاعتبروا بها.

والتي استنكفوا فيها عن ذلك وعللوا بكون الأحاديث ضعيفة، هي التي لم تدخل الأعمال الثابتة بها تحت الأصول الشرعية أو وجدوا في تلك الأحاديث ضعفًا شديدًا، فأسقطوها عن الاعتبار بالكلية" انتهى كلام الإمام اللكنوي.

أقول: وفيما بينه الإمام اللكنوي في النص السابق، رفع للإيهام الذي يقع فيه البعض، من أن أئمتنا وفقهاءنا يتناقضون في هذا الباب، حيث يثبتون الحديث الضعيف ويستحبون العمل به في مواضع كثيرة، وفي مواضع أخرى يردونه ويدفعونه، مشيرين إليه بكونه ضعيف، وهل هذا إلا حقيقة التعارض والتناقض...

وقد دفع الإمام اللكنوي هذا الوهم، وأسقط هذا الظن، عن أئمتنا وفقهائنا، وجلهم أو أكثرهم من حفاظ الحديث وجهابذته، وأهل هذا الشأن، بكونهم -رضي الله عنهم- إنما قبلوه واستحبوا العمل به، في المواضع التي لم يطلعوا فيها على شدة ضعفه، وكانت مندرجة تحت

أصول شرعية معتبرة يعتمد عليها، ويستأنس بها، فارتضوه لأجل ذلك، وعملوا به لطلب الفضيلة التي ينص عليها هذا الحديث بهذه الإمارة الضعيفة، أو لاجتناب ما أرشد الحديث الضعيف إلى اجتنابه واتباع ما أرشد إلى اتباعه، وللخروج من العهدة بيقين، أما المواضع التي ردوه فيها واستنكفوا العمل بمقتضاه مصرحين ومعللين لذلك بكون هذه الأحاديث ضعيفة، فهي المواضع التي كان ضعف الحديث فيها شديدًا أو أن الأعمال الثابتة بها، والمحصلة منها لا تندرج تحت الأصول الشرعية المقررة والثابتة من قواعد الشريعة والأحكام، فأسقطوها من الاعتبار بالكلية ولم يعملوا بهذه الأحاديث الضعيفة فعلى هذا كان عمل الأئمة بالحديث الضعيف، فلو أن أحدًا من الأمة تابع الحفاظ على ذلك، وعمل بالأحاديث التي أوردوها، وعملوا بها في كتبهم ومصنفاتهم، وسكتوا عليها لكونهم هم أهل هذا الشأن، فيا حبذا ما صنع خاصة إذا كانت في الترغيب أو المواعظ أو فضائل الأعمال أو السير، ولم نرى من يلوم عليه، أو يدفع في صدره بيديه خاصة بعد بيان الأسس السابقة التي اعتمدوها في القبول والرد والله الهادي إلى سواء السبيل.

أسباب رواية أئمة الحديث
عن بعض الضعفاء

يتبادر من البعض هنا سؤال هام، وهو أنه إذا كان أئمة الحديث هم حماة السنة، ونقلت الشريعة، فما السبب الذي دفع هؤلاء الأئمة يُحدثون عن الرواة الضعفاء، وهل المتأخرون أحرص على تمييز صحيح السنة من ضعيفها من المتقدمين؟

نقول بل هم أحرص الناس على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وما أفنى أحد عمره في خدمتها والسهر عليها مثلهم، وهم الحفاظ الجهابذة المحققون المدققون، ولكنهم عندما رووا عن هؤلاء الضعفاء من الرواة، فعلوا ذلك لأمور ذكرها الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم ج١ ص ١٢٥ حيث قال:

"الثالثة: قد ذكر مسلم رحمه الله في هذا الباب أن الشعبي روى عن الحارث الأعور وشهد أنه كاذب وعن غيره حدثني فلان وكان متهمًا وعن غيره الرواية عن المغفلين والضعفاء والمتروكين فقد يقال لم حدث هؤلاء الأئمة عن هؤلاء مع علمهم بأنهم لا يحتج بهم ويجاب عنه بأجوبة: أحدها: أنهم رووها ليعرفوها وليبينوا ضعفها لئلا يلتبس في وقت عليهم أو على غيرهم أو يتشككوا في صحتها.

الثاني: أن الضعيف يكتب حديثه ليعتبر به أو يستشهد كما قدمناه في فصل المتابعات ولا يحتج به على انفراده.

الثالث: أن روايات الراوي الضعيف يكون فيها الصحيح والضعيف والباطل فيكتبونها ثم يميز أهل الحديث والإتقان بعض ذلك من بعض وذلك سهل عليهم معروف عندهم وبهذا احتج سفيان الثوري رحمه الله حين نهى عن الرواية عن الكلبي فقيل له أنت تروي عنه فقال أنا أعلم صدقه من كذبه.

الرابع: أنهم قد يروون عنهم أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال والقصص وأحاديث الزهد ومكارم الأخلاق ونحو ذلك مما لا يتعلق بالحلال والحرام وسائر الأحكام وهذا الضرب من الحديث يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل فيه وراوية ما سوى الموضوع منه والعمل به لأن أصول ذلك صحيحة مقررة في الشرع معروفة عند أهله) انتهى كلام الإمام النووي.

أقول: وتدبر معي أخي الصالح قول الإمام الحافظ النووي السابق في شرح صحيح مسلم "**أن روايات الراوي الضعيف يكون فيها الصحيح والضعيف والباطل فيكتبونها ثم يميز أهل الحديث والإتقان بعض ذلك من بعض وذلك سهل عليهم معروف عندهم**" انتهى.

ففي هذا النص السابق رد على من ضعف روايات الراوي الضعيف مطلقًا، بزعم أن راويها ضعيف، عند نظره في ترجمته في التقريب أو التهذيب أو غيرها من كتب الرجال، فيحكم على الحديث بالضعف لأن فيه فلان الراوي وهو ضعيف، ثم يقول وانظر التقريب أو كذا أو كذا، وغفل عن هذا الأصل الذي قرره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، من أن الراوي الضعيف رواياته فيها الصحيح والضعيف والباطل، فردها كلها بالكلية لضعف راويها ليس من التحقيق، فقد يكون فيها الصحيح الذي يميزه أهل الحفظ والإتقان وفق قواعدهم في ذلك، وإن خالف صنيعهم في الحكم عليها بعض المتأخرين، فالمتقدمون من الحفاظ أثبت وأعلم بذلك من المعاصرين، ولكن المعاصرين لا يسلمون لهم بذلك ولا يقرون، بل يدفعون أقوالهم بدعاوي عريضة ومزاعم مكرورة أن المتقدمين قد تساهلوا في الحكم، أو غفلوا عن حال الراوي أو.... إلخ إلى آخر ما يقولون.

أصول هامة في شروط العمل بالأحاديث الضعيفة

زعم المعترضون على أهل الدعوة: "أنهم يستدلون بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، مع إهمالهم للشروط التي وضعها الأئمة لذلك، قالوا هذا إن أحسنا الظن أنهم يعرفون هذه الشروط.. نقول: هذه الشروط قد نقلها الحافظ السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع عن الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني "**أن شروط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة:**

الأول: متفق عليه: أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج منه ما انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلطه.

الثاني: أن يكون مندرجًا تحت أصل عام. فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلاً.

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله." انتهى. وقال والأخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه وعن أحمد أنه يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيره ولم يكن ثم ما يعارضه، وفي رواية عنه: ضعيف الحديث عندنا أحب من رأي الرجال.

وذكر ابن حزم على أن مذهب أبي حنيفة: أن ضعيف الحديث أولى عنده من الرأي والقياس.

فتحصل أن في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب:

لا يعمل به مطلقًا، يعمل به مطلقًا، يعمل به في الفضائل بشروطه) انتهى كلام الإمام السخاوي .

وقد قال الإمام السخاوي في "القول البديع"، عقب هذا القول "**وهو الذي عليه الجمهور**".

وقد نقلنا هذه المذاهب الثلاثة في العمل بالحديث الضعيف فيما سبق عن الإمام السيوطي والإمام اللكنوي.

وقد ذهب البعض إلى أن الشرط الأول من هذه الشروط في العمل بالحديث الضعيف يلزم منه وجوب معرفة درجة الحديث، إن كان ضعيفًا فقط، أو شديد الضعف، وهذا يعسر على عموم الأمة لقلة المشتغلين بالحديث، مما يؤدي لعدم العمل بالحديث الضعيف، لعدم القدرة على تمييزه من الحديث الذي هو شديد الضعف عند عموم الناس، فيكون نتيجة ذلك العمل بالحديث الصحيح فقط وترك العمل بالضعيف.

وقال آخرون إن الشرط الثاني يشترط أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام، فالعمل هنا بالأصل العام، لا بالحديث الضعيف، ومن عمل بالحديث الضعيف في هذه الحالة فهو شكل وصورة.

وقال البعض إن الشرط الثالث لابد فيه من معرفة ضعف الحديث حتى لا يعتقد ثبوته، وهذا لا يتيسر لعموم الناس الذين يعملون به لبعدهم عن علم الحديث...

وللجواب على ذلك نقول:

أما قول البعض إن الشرط الأول من الشروط الثلاثة يلزم منه وجوب معرفة درجة الحديث الضعيف، إن كان ضعيفاً فقط أم شديد الضعف، فلا يعمل به، مما يؤدي إلى ترك العمل بما لم يصح من الحديث، لأن هذه المعرفة التي تفرق بين الضعيف وشديد الضعف تعسر على عموم المسلمين.

أقول: من يردد هذه الاعتراضات هو في حقيقة الأمر يرجح القول الأول الضعيف، في حكم العمل بالحديث الضعيف، وهو عدم العمل به مطلقاً سواء في فضائل الأعمال، أو الترغيب والترهيب، أو الأحكام أو العقائد، وهو مذهب مرجوح من ثلاثة مذاهب، ذكرها الإمام السخاوي والإمام السيوطي وذكرها الإمام اللكنوي سابقاً في الأجوبة الفاضلة على الأسئلة العشرة الكاملة وعلق عليه بقوله: "**وهذا مذهب ضعيف**".

وأنا أعجب من أمرين: أولهما: أن حكم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال هو الجواز أو الاستحباب، وقد نص على ذلك الإمام النووي في الأذكار حيث قال رحمه الله "**يجوز ويستحب العمل بالحديث الضعيف**" فكيف تكون معرفة درجة ضعفه وشدتها على الوجوب..؟؟

الثاني: القول بأن هذا الشرط يؤدي في الواقع إلى عدم العمل بالحديث الضعيف، لعسر معرفة شدة الضعف في الحديث من عدمها على عموم المسلمين.

نقول: فعموم المسلمين يعسر عليهم أيضًا معرفة صحة وثبوت الحديث من عدمه، وإنما يتبعون في ذلك قول الحفاظ وأئمة الحديث، فيكفيهم في ذلك نص أحدهم على صحة وثبوت الحديث، حتى يعملوا بمقتضاه، أما هم بأنفسهم فلا طاقة لهم في تمييز الصحيح من السقيم، فهلا قلت أيضًا إن هذا يؤدي إلى ترك العمل بالحديث الصحيح، لعسر هذه المعرفة على عموم المسلمين، كما قلت ذلك في معرفة حال الحديث الضعيف، إن كان ضعيفًا فقط أو شديد الضعف.

كذلك في الحديث الضعيف، يكفي العامة في جواز العمل به إيراد الحفاظ وأئمة الحديث له في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب في مصنفاتهم مع سكوتهم عليه، أو عدم بيان شدة ضعفه، سواء بسواء، كما اعتمدوا ذلك عند حكمهم واجتهادهم في صحة الحديث من عدمه، فها هنا كذلك..

أما اعتراض المتكلم بالشرط الثاني، في جواز العمل بالحديث الضعيف، وهو كون الحديث مندرجًا تحت أصل عام، وأن العمل في هذه الحالة سيكون بالأصل العام، فيصير العمل بالحديث الضعيف هاهنا شكلاً وصورة وليس على حقيقته.

فنقول: هذا الشرط الثاني الذي اشترطه الإمام العز بن عبد السلام، هو لئلا يلزم إثبات ما لم يثبت شرعًا بالحديث الضعيف، لا أن العمل بالحديث الضعيف في هذه الحالة سوف يصير صورة وشكلاً وليس حقيقة.

بل العمل بالحديث الضعيف في هذه الحالة، يكون مؤكدًا للأصل العام المندرج تحته، أو موثقًا لأحكامه، خلافًا لمن زعم أنه يصير حينئذ شكلاً وصورة.

أما الاعتراض بالشرط الثالث وهو ضرورة معرفة ضعف الحديث، لكي لا يعتقد ثبوته، وهذه المعرفة تعسر على عموم المسلمين، فينتج عن ذلك ترك العمل بالضعيف.

فنقول: ردًّا على هذا الاعتراض أن الغرض من هذا الشرط غير ما ذهب إليه هذا المعترض، حيث أن أئمة هذا الشأن قرروا أن اعتقاد العامل عدم ثبوته لا ينفي أن يعمل به، فإن المقصود هو الخروج من العهدة بيقين، فإنه إن كان صحيحًا في نفس الأمر فقد أعطى حقه من العمل، وإلا لم يترتب على العمل به مفسدة شرعية من تحليل أو تحريم أو ضياع حق للغير.

فالأصل في هذا الشرط هو الاحتياط والخروج عن العهدة بيقين، لاحتمال صدق هذه الأحاديث في الباطن وفي واقع الأمر...

على أننا نقول: إن هذه الشروط الثلاثة التي ذكرها الحافظ السخاوي عن شيخ الإسلام ابن حجر هي منقولة عن ثلاثة من الأئمة.. أما الشرط الأول فعن الحافظ العلائي وأما الشرط الثاني فعن الإمام العز بن عبد السلام وأما الشرط الثالث فعن الإمام ابن دقيق العيد، غير أن غيرهم من الأئمة والحفاظ وأهل هذا الشأن جوزوا واستحبوا العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ولم يذكروا له أي شرط سوى أن لا يكون موضوعًا، بل نصوا على عدم اشتراط بيان ضعفه، منهم الحافظ الإمام أبو عمرو بن الصلاح

صاحب المقدمة في علوم الحديث، التي ما من أحد صنف بعده في علم المصطلح إلا وهو عالة عليها، ومنهم شيخ الإسلام الإمام النووي حيث قال في التقريب "**ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من الضعيف والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام كالحلال والحرام ومما لا تعلق له بالعقائد والأحكام**" انتهى كلام الإمام النووي.

قال الإمام السيوطي في تدريب الراوي ج١ ص٢٩٨ في شرح الكلام السابق عن الإمام النووي: **(لم يذكر ابن الصلاح والمصنف (أي الإمام النووي) ها هنا وفي سائر كتبه لما ذكر سوى هذا الشرط، وهو كونه في الفضائل ونحوها)** انتهى كلام الإمام السيوطي.

فاستدلال المعترض على تجفيف العمل بالحديث الضعيف وتركه وعدم العمل به بهذه الشروط الثلاثة، وكأنها الأمر المسلَّم به والمتفق عليه، عند العمل بالحديث الضعيف، في فضائل الأعمال، بحيث يجعلها قيودًا للعمل به، ويستخلص منها النتائج على عدم جواز العمل بالحديث الضعيف مطلقًا، سواءً في فضائل الأعمال وغيرها..

نقول هذا يعارض ما ذهب إليه أئمة الحديث في ذلك، بل الثابت أن صنيع الأئمة على خلافه، ولا أدل على ذلك مما نقل الإمام السيوطي عن الإمام ابن الصلاح والإمام النووي، أنهما لم يذكرا للعمل بالحديث الضعيف أي شرط سوى كونه في فضائل الأعمال فمن ذهب إلى ما ذهب إليه الإمام ابن الصلاح أو الإمام النووي في

عدم اشتراط أي شرط للعمل بالحديث الضعيف سوى كونه في فضائل الأعمال، هل لأحد أن يبدعه أو يفسقه، أو أن يصفه بالجهالة أو الضلالة، أو الكذب متعمدًا على النبي صلى الله عليه وسلم..!

على أننا نزيد الأمر وضوحًا فنقول : بالنسبة للشرط الأول وهو أن لا يكون شديد الضعف، لأنه إن كان كذلك مع عدم وجود ما يجبر نقصانه، يجعله في حكم العدم، ويقربه إلى الموضوع والمخترع الذي لا يجوز العمل به بحال، كما نص على ذلك الإمام اللكنوي في ظفر الأماني، وبذلك يكون قد اقترب من الوصف الذي استثناه الأئمة في عملهم بالحديث الضعيف، ولم يجيزوا العمل به، وهو وصف الحديث الموضوع، وهو الذي قال الإمام ابن الصلاح في تعريفه في المقدمة "النوع الحادي والعشرون: معرفة الموضوع: وهو المختلق المصنوع. **اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ولا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقرونًا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن**" انتهى.

فإذا وصل الحديث في شدة ضعفه، وعدم وجود ما يجبره إلى ما يجعله في حكم العدم، ويقربه إلى الموضوع الذي لا يجوز العمل به مطلقًا، هنالك يتوقف العمل به، كما توقفنا في العمل بالموضوع على أي حال، سواء في الفضائل أو الأحكام أو العقائد...

فالسبب في توقفنا في العمل بالحديث الضعيف ضعفًا شديدًا، لأنه في حقيقة الأمر قد قارب الموضوع في أوصافه، وكاد أن ينزل إلى دركاته. ووصف هذا الحديث بأنه متروك أولى من وصفه بكونه ضعيفًا فقط، حيث إن الحديث المتروك (ما انفرد به راوٍ اتهم بالكذب لمخالفة حديثه القواعد المعلومة ولم يرو إلا من جهته أو اتهم بكثرة الغلط أو الغفلة أو الفسق بغير الكذب).

ومعرفة هذا النوع أي الحديث الضعيف ضعفًا شديدًا يكون بنص أئمة الإسلام عليه، كما نصوا وحذروا من الموضوع، وإهمالهم له بعدم إيراده في مصنفاتهم ليحذره الناس، وإن ورد في أحد مصنفات أحدهم وأغفل النص عليه، قام من بعده من أئمة هذا الشأن ببيان حاله، وكشف حكمه وعواره، ليتوقف الناس فيه ويحذروا منه، بذلك استقرت قواعدهم، ورجحت علومهم وعم على المسلمين نفعهم والاستفادة من مصنفاتهم.

فإن كان من أئمة الحديث الكبار وأهل هذا الشأن، من لم يذكروا للحديث الضعيف أي شرط للعمل به، سوى أن يكون في الفضائل ونحوها، وأوردوا هذه الأحاديث الضعيفة في مصنفاتهم، وسكتوا عليها ولم يبينوا كونها شديدة الضعف أم ضعيفة فقط، وجاء أهل الدعوة وبسطاؤهم فقلدوهم في هذا، واتبعوهم في ذلك، وهم أئمة الحديث وأهله المرجوع إليهم فيه، فلم اللوم عليهم..؟ ولم التأنيب لهم..؟ وهم ما نقلوا هذه الأحاديث إلا من كتب الحفاظ المحدثين،

أمثال الذهبي وابن كثير وابن القيم وابن تيمية والنووي وابن الجوزي والقرطبي والبيهقي.. وغير هؤلاء كثير الذين استعملوا هذه الأحاديث في الفضائل وسكتوا عنها، ولم يبينوا كونها ضعيفة فقط أم أن ضعفها ضعف شديد، وهل هي مندرجة تحت أصل عام أم لا، وإن وجد بسطاء أهل الدعوة أن إيراد هؤلاء الأئمة الأعلام لهذه الأحاديث في أبواب الفضائل، وسكوتهم عنها كاف لهم كعوام في العمل بها على ما قرروه..، فلم الغمز واللمز عليهم..؟

وإذا لم يطالب أحد من الناس الأئمة الحفاظ المجتهدين في علوم الحديث، والموردين للأحاديث الضعيفة في مصنفاتهم في فضائل الأعمال، أن ينصُّوا على أن هذا الحديث ضعيف فقط، أو شديد الضعف ليجتنب، أو أن هذا الضعيف مندرج تحت أصل عام أم لا، أو بتطبيق هذه الشروط الثلاثة عليها... فكيف نطالب بذلك بسطاء أهل الدعوة

على أنه قد غاب على المعترضين، الذين يشترطون على البسطاء، ضرورة معرفة وتطبيق هذه الشروط الثلاثة، أن مقاصدهم فيها وطلبهم لها غير المقاصد التي وضعها لها الأئمة الأعلام، الذين نصوا عليها، وهم الإمام العلائي للشرط الأول والإمام العز بن عبد السلام للشرط الثاني والإمام ابن دقيق العيد للشرط الثالث...

فمقاصد هؤلاء المعترضِين هو ترك العمل والإلغاء للأحاديث الضعيفة مطلقًا، سواء في فضائل الأعمال أو غيرها، لصعوبة معرفة الضعف الشديد من عدمه على مجموع المسلمين، حتى عمد البعض

إلى مصنفات الأئمة الأعلام في السنن وغيرها، ليجردوها من هذه الأحاديث الضعيفة بزعمهم، لأن في الصحيح كفاية عندهم، بخلاف الأئمة المجتهدين واضعي هذه الشروط الثلاثة، فهم ما قصدوا منها ترك العمل والإلغاء للأحاديث الضعيفة، في فضائل الأعمال ونحوها، بل إنهم أوردوها في مصنفاتهم، وتكلموا بها في كتبهم واهتموا لها وجمعوها وبوبوها على الأبواب والتراجم، واستدلوا بها على خلاف قصد هؤلاء الذين أرادوا حذفها وعدم الأخذ بها.

فمقصود طلب المعترضين على العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، لهذه الشروط الثلاثة، إنما هو تجفيف العمل بالأحاديث الضعيفة مطلقًا، عن طريق تعسير العمل بما لم يصح من الحديث، وتشديد القيود في أحكامه في الفضائل ونحوها...

أما طلب الأئمة الذين نصوا على هذه الشروط فإنما هو للاحتياط والخروج عن العهدة بيقين...

ونقول لمن اعترض على بسطاء أهل الدعوة لعملهم بالأحاديث الضعيفة في الفضائل ونحوها، أو وجود بعضها في كتاب حياة الصحابة المتداول بينهم، وهو كتاب مواعظ وفضائل ومغازي وسير، فيحذرون لأجل ذلك منه، ويشوهون ما استطاعوا فيه، مع أن مصنفه العلامة المحدث محمد يوسف الكاندهلوي قد أحال الروايات التي فيه إلى كتب الآثار ودواوين السُّنَّة، وخرج عن العهدة بذلك، وجملة كبيرة منها صحيحة أو حسنة، والباقي يعمل به على المعتمد الراجح عند جمهور أهل الحديث في المواعظ والفضائل والمغازي والسير.

وحسبنا قول الإمام البيهقي في المدخل إلى دلائل النبوة (١/ ٣٢-٣٧) دفاعًا عن الكتب التي على شاكلة حياة الصحابة حيث قال رحمه الله "**وضرب لا يكون راويه متهمًا بالوضع غير أنه عرف بسوء الحفظ، وكثرة الغلط في روايته أو يكون مجهولاً لم يثبت من عدالته وشرائط قبول خبره ما يوجب القبول. فهذا الضرب من الأحاديث لا يكون مستعملاً في الأحكام كما لا تكون شهادة من صفته مقبولة عند الحكام وقد يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي فيما لا يتعلق به حكم**" انتهى كلام الإمام البيهقي.

وقول القائل بأن أهل الدعوة لا يعرفون ولا يتكلمون إلا بالأحاديث الضعيفة والتالفة...

فللرد على ذلك نقول له: سبحانك هذا بهتان عظيم لأن أساس عملهم هو مداومة مدارسة كتاب رياض الصالحين، والدعوة به أثناء خروجهم، وهو الذي أوصى به الإمام الذهبي بعد الصحيحين طلبة العلم، وصنفه الإمام النووي رحمه الله بشرط الصحة عنده...

ونحن قد فصلنا فيما سبق الصحيح من أقوال أئمة الحديث في هذه المسألة، **وأن عمل أهل الدعوة بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، على القول الصحيح الراجح لأئمة هذا العلم، وأنهم محمودون لا مذمومون في ذلك، وعلى الله قصد السبيل وهو نعم المولى ونعم الوكيل.**

على أننا ننهي بحثنا هذا لمن شن الغارة، على من يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال مدعيًا عدم جواز العمل به مطلقًا.

بما أورده العلامة الكوكباني في هذا الباب حيث نص على أن حكم المتأخرين على الحديث بعدم الصحة، لا ينفي كونه حسناً والحسن معمول به أو ضعيفًا معمولاً به، فيعمل به كما تقرر عند الأئمة رضي الله عنهم، وإلا لو كان ضعيفًا غير معمول به، فإنه يترك، وهو ما ذكره في التحفة المرضية في حل بعض المشكلات الحديثية ص ١٨٦: حيث قال "**وقال السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني شيخ الإمام الشوكاني في بعض مؤلفاته: "إذا قال المتأخرون من المحدثين: هذا حديث غير صحيح أو لا يصح لم يكن معناه أن الاستدلال به مردود ولا أنه غير معمول به، بل لم نجد لهم حرفًا مصرحًا بذلك فإذا قال بعض المتأخرين في حديث: إنه غير صحيح أو لا يصح ولم يتردد على ذلك كان قوله مقبولاً ثم يبحث عنه فإن كان حسنًا أو ضعيفًا معمولاً به عمل به وإلا ترك**" انتهى.

ومن تتبع كلام الإمام الترمذي في سننه عند تعليقه على بعض الأحاديث بقوله "**هذا حديث ضعيف وعليه العمل**" يتأكد له الكلام السابق.

والحمد لله رب العالمين أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا...

هل الصفات الستة بديلاً عن أركان الإسلام الخمسة

لقد زعم المعترضون على أهل الدعوة أنهم وضعوا لدعوتهم صفاتٍ ست يتدارسونها وجعلوها بديلاً عن أركان الإسلام الخمسة: ونحن نقول لهم يا إخواننا إن هذه الصفات الستة عندما بحث فيها المشايخ والعلماء نظروا إلى الصفات التي لا يستغنى عنها المسلم خلال ٢٤ ساعة، والتي تكون سببًا في إصلاحه، فهي منهج تربوي إصلاحي لعموم الأمة للقيام بالدعوة والتزكية على مقتضاها، وبتطبيقها والمحافظة عليها يكون السير على كل أحكام الدين بالسهولة واليسر على عموم المكلفين، فهل نشر وقيام صفات تربوية للإصلاح في عموم الأمة يعتبر استبدالاً لأركان الإسلام الخمسة؟

على أننا نؤكد أن هذه الصفات الست هي منهج تزكية ننتقل بها من الصفات المذمومة، التي نعلمها من أنفسنا، مثل العجب والرياء والكبر والحقد والحسد وصرف الوجوه إلى الصفات المحمودة التي كانت عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذه الصفات عندما اختارها العلماء وضعوها لعلاج معظم الأمراض في أمة النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا ذُكرت أغنت عن المرض، حيث أن ذكره ينشره ويزيده...

فمن الأمراض التي انتشرت في الأمة بعض أقوال وأفعال الشرك، فتأتي الصفة الأولى لنجتهد على التوحيد، بعدم التعلق بالمخلوق، والخضوع والطاعة والتعلق بالله تعالى وحده.

ومنها: اتباع الهوى فنجتهد في السير خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فالإنسان لا يسير خلف هوى نفسه، ولكن خلف النبي صلى الله عليه وسلم "**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**"[1].

ومنها: التوجه والقصد إلى المخلوق فتأتي الصفة الثانية فنتعلم الصلاة ذات الخشوع والخضوع حتى نتوجه إلى الخالق وهو الله تعالى.

ومنها: الجهل فتأتي الصفة الثالثة فنتعلم العلم لنرفع الجهل.

ومنها: الغفلة فندعو إلى ذكر الله تعالى كثيرًا.

ومنها: احتقار المسلم وسوء الخلق فتأتي الصفة الرابعة فندعو إلى إكرامه وإعزازه وحسن الخلق.

ومنها: الرياء والسمعة فتأتي الصفة الخامسة فنصحح النيات ونُخلصها لله تعالى.

ومنها: انتشار الشر والابتلاء بالمصائب بسبب تركنا لمسئوليتنا في دلالة المخلوق على الخالق، وتحقيق العبودية لله تعالى وحده، وإرشاد الإنسانية إلى معبودها وخالقها، فتأتي الصفة السادسة فندعو لقيام الأمة على مقصد وجودها والمحافظة على مسئوليتها بالدعوة إلى الله تعالى، وببذل الجهد بالنفس والمال من أجل ذلك.

---

(١) رواه البغوي في "شرح السنة" (٢١٢/١) وصححه النووي.

فهذه الصفات هي احتياج أمة النبي صلى الله عليه وسلم خلال الأربع وعشرين ساعة أي كل يوم، والركنان الأساسيان اللذان يحتاج إليهما المسلم أثناء اليوم من أركان الإسلام الخمسة، هما ركن الشهادة "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وركن الصلاة، وأهل الدعوة هم أحرص الناس على الصلاة وعلى نشر الكلمة لا إله إلا الله في أمة الإسلام. أما بقية الأركان كالصيام فمرة في العام، كذلك الزكاة هي لمن ملك نصابًا وحال عليه الحول، أما الحج فمرة في العمر لمن ملك الزاد والراحلة وهذه الأركان الثلاثة من صوم وزكاة وحج هي داخلة في صفة العلم، وهي الصفة الثالثة من الصفات الست المجتهد على تحصيلها، فهذه الأركان الثلاثة من أركان الإسلام وهي الزكاة والحج والصوم لا يطالب بها المسلم كل يوم، بل هي واجبة بشروطها وأركانها على أصناف معينة من الأمة في أوقات معينة، ولا يطالب بها عموم المسلمين إلا بوجود هذه الشروط والأركان...

فمن يدعي أننا تركنا أركان الإسلام الخمسة فلم ندعو إليها؟ ودعونا إلى ست صفات أخرى؟ وجعلناها بدلًا من أركان الإسلام؟ إنما هو قول زور وبهتان؟ وتقول علينا بلا برهان؟

بل إننا ندعو إلى الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله" واليقين عليها وأن تأتي في حياتنا بالحقيقة في الصفة الأولى؟ وندعو إلى الركن الثاني من أركان الإسلام الخمسة وهو الصلاة ذات الخشوع والخضوع في الصفة الثانية؟ وندعو إلى بقية الأركان من الالتزام بالصوم والزكاة والحج بشروطها وأركانها تحت صفة العلم مع الذكر وهي الصفة الثالثة من الصفات الستة...

وقد قال العلماء أن هذه الصفات هامةٍ وتلزم كل مسلم كل يوم، فأولها الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" هل يستطيع أحد من الأمة أن يستغنى عنها في يوم من الأيام؟

وثانيها الصلاة ذات الخشوع والخضوع هل يستغني عنها أي مسلم في أي يوم؟ أو في أي مكان؟

أما الصفة الثالثة فهي العلم فلا يستغنى عنه المسلم ليعرف الأوامر المتوجهة إليه خلال ٢٤ ساعة، كذلك الذكر فلا بد للمسلم أن يتحلى به ليخرج من وصف الغفلة؟ وليكون قلبه حاضرًا مع الله تعالى بالكلية.

أما الصفة الرابعة وهي إكرام المسلمين فهي لازمة لكمال الإيمان "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه**"[1].

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الأدب (باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ١٠/٨ وأخرجه مسلم كتاب الإيمان (باب الحث على إكرام الجار) ٦٦/١.

وقبل إكرام المسلمين هناك أداء الحقوق، وهي لازمة لكل مسلم للخروج من التبعات والمظالم...

ثم الصفة الخامسة وهي تصحيح النية التي بدونها لا تصح عبادته ولا معاملاته ولا معاشراته، وتدخل في أكثر أبواب العلم، وآخر الصفات الست وهي الدعوة إلى الله تعالى، التي هي لازمة لكل مسلم، ولا يُستغنى عنها حتى ترتفع الشرور والمصائب وتقوم الأمة على مسئوليتها، ومقصد وجودها في نشر الهداية.

وهذه الصفات الست قام علماء الدعوة بتوضيحها وبيانها على النحو التالي حتى لا يختل معنا الميزان، ويذهب بنا السراب إلى البهتان، من أتاه لم يجده شيئاً..

الصفة الأولى: تحقيق الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" واليقين الكامل عليها فهي كلمة التوحيد وكلمة التقوى وكلمة المعرفة وكلمة الإيمان.

واليقين الكامل عليها يتحقق بأن لا ننسب الأشياء إلا إليه سبحانه وتعالى، فلا نافع ولا ضار ولا محيي ولا مميت ولا خالق ولا رازق إلا الله سبحانه وتعالى، ونحقق في قلوبنا اليقين الصحيح على الله تعالى وحده فلا نتوكل إلا عليه ولا نسأل غيره ولا نستعين بسواه، ولا نخاف ولا نرجو إلا إياه، ولا نطلب ولا نقصد إلا هو وحده عز وجل ..

فنخضع ونطيع له وحده لا سواه، ونحبه وندعوه وحده لا إله غيره.

فلا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى فجميع الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة فقط بيد الله عز وجل، والله سبحانه عنده خزائن كل شيء وهو خالق الأشياء والأحوال، يفعل ما يشاء بقدرته ولا يحتاج لأحد من خلقه وهو الصمد، وهو الذي جعل نجاحنا وفلاحنا وفلاح البشرية جمعاء حتى يوم القيامة فقط في الامتثال الكامل لأوامره على وفق سنة حبيبه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام].

وقد بين الأئمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام، عن طريق معرفة الله تعالى في ذاته وأفعاله وصفاته، ونحن ننقل كلامهم في ذلك ملخصين له فنقول مستعينين بالله تعالى يقول الإمام الغزالي في الإحياء ج١ ص ٩٥ واصفاً المولى عز وجل:

"أنه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال، موصوفًا بنعوت الجلال، لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال، بتصرم الآباد، وانقراض الآجال، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم) انتهى.

وقال -رحمه الله- في موضع آخر، بعد أن بين أنه الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزها عن المماسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، واصفًا الله عز وجل بقوله: (لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقيه لا تزيده قربا إلى العرش والسماء، كما لا تزيده بعدًا عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء، تعالى أن يحويه مكان، كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل خلق الزمان والمكان، وهو الآن على ما عليه كان) انتهى.

وقال -رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "وأنه تعالى حي قادر جبار، قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت، وأنه ذو الملك والملكوت، والعزة والجبروت، له السلطان والقهر والخلق والأمر، السماوات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع".

خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، ولا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تُحصى مقدوراته، ولا تتناهى معلوماته، العلم، وأنه عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، وأنه عالم لا يعزب من علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في جو الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، يعلم بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفًا به في أزل الآزال، لا لعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال. الإرادة وأنه تعالى مريد للكائنات، مدبر للحادثات، فلا يجري في الملك والملكوت، قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم

يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر، ولا فلتة خاطر، بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد، لا راد لأمره ولا معقب لقضائه، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة، أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك) انتهى.

وقال -رحمه الله- واصفاً المولى عز وجل (وأنه تعالى سميع بصير، يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع، وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلالهم، يرى من غير حدقة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق) انتهى كلام الإمام الغزالي مختصراً.

" فلا إله إلا الله" هي أساس الإيمان وهي أصل الإيمان وجوهر الإيمان وروح الإيمان وهي حقيقة الإيمان وكلمة الإيمان...

وهي الشرط الأول لقبول الإنسان عند الله تعالى:

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله" أقاتل أولاً أو أسلم أولاً. فقال صلى الله عليه وسلم: "أسلم ثم قاتل"[1] ...

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٨)، وأخرجه مسلم (١٩٠٠).

أي اقبل هذا الإيمان أولاً، الذي أساسه هذه الكلمة، ثم قاتل...

وقال صلى الله عليه وسلم: "**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**"(١).

أي صام رمضان على أساس هذا الإيمان والتصديق والمحبة والعبودية، فالإيمان شرط لأي عمل حتى يقبل، وأساس هذا الإيمان هو هذه الكلمة...

"ولا إله إلا الله" هي أصل الإيمان...

فعن حذيفة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صدقة ولا نسك ويسري على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة " لا إله إلا الله" فنحن نقولها" قال صلة بن زفر لحذيفة: فما تغني عنهم "لا إله إلا الله" وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك، فأعرض عنه حذيفة فرددها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه في الثالثة فقال يا صلة تنجيهم من النار"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨)، وأخرجه مسلم (٧٦٠).

(٢) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه..

فأصل الإيمان هو هذه الكلمة "لا إله إلا الله" وهي المنجية من النار والمانعة من العذاب، في آخر الزمان عندما يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، لأنها أصل الإيمان وجذر الإيمان فعند فقد فرائضه يبقى الأصل، يدفع ويذب عن صاحبه ويحميه من العذاب، وسوء العقاب ويأخذ بيده حتى ينجيه من النار، وما كان يظن أنه منها ناجيًا فهي الحسنة العظيمة الثقيلة في الميزان والمنجية من النيران.

"ولا إله إلا الله" هي جوهر الإيمان.

فعن مكحول –رحمه الله– يحدث قال: "جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه فقال: يا رسول الله! رجل غدر وفجر ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه، لو قُسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم، فهل له من توبة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أأسلمت؟ فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ومبدل سيئاتك حسنات. فقال: يا رسول الله! وغدراتي وفجراتي؟ فقال: "وغدراتك وفجراتك" فولى الرجل وهو يكبر ويهلل"[١] .

---

(١) التفسير لابن كثير ١٣: ٣٤.

فجوهر الإيمان هذه الكلمة وهي المبدلة للسيئات حسنات، وهي الموجبة للمغفرة والرحمة لصاحبها على ما كان عليه ما دام قد فزع إلى التوبة وصحت منه.

"ولا إله إلا الله روح الإيمان".

فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: **"قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضره الموت إلا وجد روحه لها روحًا حتى تخرج من جسده وكانت له نورًا يوم القيامة"**(١).

فروح هذا الإيمان هذه الكلمة، ويجد الإنسان ذلك عند خروج روحه من الدنيا إلى الدار الآخرة وتسطع له نورًا يوم القيامة. ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة].

و"لا إله إلا الله" هي حقيقة الإيمان.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **"سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرمه الله على النار، لا إله إلا الله"**(٢).

فإذا تلفظ العبد بهذه الكلمة حقًا من قلبه ويحصل على حقيقتها تثمر له هذه الحقيقة حقيقة الإيمان فإذا فارق الدنيا حُرِّم على النار.

---

(١) (رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٣/٦٧).

(٢) (رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ١٤/٧٢)..

"ولا إله إلا الله" كلمة الإيمان.

فعن عياض الأنصاري رضي الله عنه رفعه قال: "لا إله إلا الله كلمة، على الله كريمة لها عند الله مكان، وهي كلمة من قالها صادقًا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله ولقي الله غدًا فحاسبه"[1] .

فشرط الإيمان هذه الكلمة وهي كريمة جليلة، لها عند الله تعالى التشريف والقدر العظيم، وهي كلمة الإيمان من قالها صادقًا دخل الجنة، ومن كذب فيها عصمت ماله ودمه في الدنيا وحسابه على الله تعالى.

"ولا إله إلا الله" هي كفاية الإيمان

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت، أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**"[2].

فلا إله إلا الله كفاية الإيمان، يتعوذ صاحبها بعزة الله تعالى وبالاستكفاء بها من الضلالة والغواية وبحقيقتها يرزق تمام الانقياد والاستسلام لأوامر الله تعالى، وتمام الإنابة والرجوع إليه وكمال المخاصمة بحوله وقوته في كل جليل وحقير فهو الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون.

---

(١) [رواه البزار ورجاله موثقون مجمع الزوائد ١/١٧٤].

(٢) [متفق عليه وهذا لفظ مسلم].

أما "محمد رسول الله" فهي مظهر الإيمان، وصورة الإيمان وصبغة الإيمان، وعمل الإيمان.

فأهل الإيمان صورتهم محمد رسول الله، وعملهم "محمد رسول الله" وصبغتهم "محمد رسول الله".

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣].

فمظهر الإيمان "**محمد رسول الله**" فمن اقتدى بسنته وأطاع أمره واتبع ما جاء به نجا وفاز الفوز الأبدي، ومن أهمل سنن الحبيب صلى الله عليه وسلم وعصى أوامره وخالف ما جاء به هلك وخسر خسرانًا أبديًا.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكوا واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق**"(١).

ومحمد رسول الله" عمل الإيمان فمن أطاعه رضي بالإيمان ورضي بمرافقته في الجنة، ومن عصاه رفض الإيمان ورفض جواره. ومرافقته في الجنة.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**"(٢).

ومحمد رسول الله" صبغة الإيمان، فمن استكمل الإيمان، كانت عواطفه وهممه في الاقتداء بالمصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على هديه، وتعظيم سنته.

---

(١) [رواه البخاري باب الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم ٧٢٨٣].

(٢) [رواه البخاري باب الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم].

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "**قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي: يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة**"(٢).

وقال الإمام مالك: "**حرمة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كحرمته بعد موته وصحبة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته شرف يتواصل بصحبة سنته بعد موته**".

فصبغة الإيمان "**محمد رسول الله**" وهو أن تصبح وتمسي على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكون في قلبك الصدق والنصح لكل أحد، فهذا من محبته ومن هديه، ومن أحبه كان معه في الجنة، شرط ألا يحمل في قلبه الضغينة والحقد والغش والخيانة لأي أحد.

و "**محمد رسول الله**" صبغة الإيمان لأن أصحاب هذه الصفة ما أعدوا لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة، بل زادهم هو حب الله ورسوله، ورأس مالهم محبة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) [قال الإمام النووي حديث صحيح].

(٢) [رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب باب ما جاء في الأخذ بالسنة].

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه "**أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم: متى الساعة يا رسول الله؟**

قال: ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من أحببت"(١).

"**ومحمد رسول الله**" صبغة الإيمان لأن أهل هذه الصفة الذين تحققت فيهم حقيقتها، رغم أنهم ما صاحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءوا بعده ولكنهم أعظم الناس حبًّا لرسولهم وشوقًا إلى حبيبهم، يتمنى أحدهم لو فاز بنظرة إلى رسوله المرتضى، ونبيه المجتبى، وأن يكحل عينيه برؤية وجهه المشرف، وطلعته المضيئة البهية، ولو يبذل مقابل ذلك أهله وماله...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**من أشد أمتي إليّ حبًّا ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**"(٢).

"**ومحمد رسول الله**" عمل الإيمان، فكل الأعمال تُقبل على أساس الإيمان، ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أضيف إليه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، وفي السيرة والسريرة.

---

(١) [رواه البخاري باب علامة الحب في الله رقم ٦١٧١].

(٢) [رواه مسلم باب فيمن يود رؤية النبي صلى الله عليه وسلم].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"(١) أي مردود عليه .

فعمل الإيمان المقبول ما كان على سنتة صلى الله عليه وسلم، وما وافق هديه الشريف، وبحسن الاتباع تتحول معنا العادات اليومية من طعام وشراب ونوم.. وغير ذلك إلى عبادات.

قال العلماء: "لا يدخل عليك الإهمال إلا بإهمالك عن متابعة النبي ﷺ، ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، قال الله تعالى حكاية عن سدينا إبراهيم عليه السلام ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم] فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه ...

وقال تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ فأجابه الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود ٤٦] فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع، وإن كان أجنبيًا كسلمان رضي الله عنه لقول النبي ﷺ "سلمان منا أهل البيت" ومعلوم أن سلمان من فارس ولكن بالمتابعة قال عنه النبي ﷺ ذلك تعليمًا وكما أن المتابعة تثبت الاتصال كذلك عدمها يثبت الانفصال.

---

(١) [رواه مسلم].

وقد جمع الله الخير كله في المتابعة، فالتابع يشرف بشرف المتبوع، فكفى به شرفًا من تبع النبي ﷺ، ومن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله تعالى له ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران].

وعن جابر رضي الله عنه: **"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"**(١).

فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وهديه هو عمل الإيمان...

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"دعوني ما تركتكم أنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"**(٢) .

فأمرُ النبي صلى الله عليه وسلم هو عمل الإيمان، والاختلاف عليه هو الفسوق والعصيان، وهو الهلاك لأمته التي لم تعظم أمره، وهجرت دعوته...

---

(١) [رواه مسلم].

(٢) متفق عليه.

أما الطاعة والموافقة لسنته فهي أعمال الإيمان المحمودة، وهي منة الله المنشودة ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: "**وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**"[1].

فإذا حدث الاختلاف الكثير في أمور الشرع، فعمل الإيمان هو التمسك بسنته صلى الله عليه وسلم، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ولزوم غرزها، والمحافظة على شرائطها وأركانها وتعظيمها، والدعوة إليها ونشرها، لتتعافى الأمة من كبوتها، وتفيق من غفوتها...

---

(١) [رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح].

الصفة الثانية: الصلاة ذات الخشوع والخضوع...

والصلاة هي تصديق الإيمان ودليل الإيمان وطهارة الإيمان وعلامة الإيمان ونتيجة الإيمان.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ فالصلاة هي تصديق الإيمان .

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ فدليل الإيمان الصلاة التي لا ينشغل صاحبها عنها بتجارة ولا بيع، ويقيمها رجال يخافون اليوم الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار...

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: ١٣٢].

والصلاة هي طهارة الإيمان من حافظ عليها لا تدع عليه من خطاياه شيء.

فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**"(٢).

والصلاة هي علامة الإيمان وشهادة الإيمان.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... الآية﴾ "(٣).

فعلامة الإيمان وأمارته عمارة المساجد لإقامة الصلاة، التي هي عماد الدين، ودليل الإيمان بالله واليوم الآخر، وهي شهادة الإيمان لصاحبها بتزكية النبي ﷺ .

---

(١) [رواه مسلم].

(٢) متفق عليه.

(٣) [رواه الترمذي وقال: حديث حسن].

وهذه الصلاة نتيجة الإيمان، ويحكم على إيمان صاحبها يوم القيامة بحال صلاته، فإن صلحت انسحب صلاحها إلى سائر عمله، وإن فسدت انسحب فسادها إلى سائر عمله، لأنها عماد الدين ونتيجة الإيمان "**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله**"(١).

وهذه الصلاة ترتبط ارتباطًا تامًا بالخشوع وحضور القلب فيها، لأن المصلي مناج لربه سبحانه وتعالى، والكلام الذي يكون مصحوبًا بالغفلة ليس بمناجاة قط، فإن تحريك اللسان بالحروف والأصوات ما أخفه وأسهله على الغافل، وإنما المقصود من النطق والذكر فيها أن يعرب عما في الضمير والوجدان، ولا يكون كذلك إلا إذا كان القلب حاضرًا متيقظًا...

فعن عثمان رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤتى كبيرة وذلك الدهر كله**"(٢).

فأي سؤال في قول القائل ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إذا كان قلبه غافلاً عن ربه عند الطلب، ساه عن حقيقة وصفه، وأي مشقة وتعب يكون على اللسان في تحريك الألفاظ والحروف بذلك، مع

---

(١) [رواه الطبراني].

(٢) رواه مسلم.

الغفلة عن معانيها والمقصود منها، وهي كونها تضرعًا ودعاء وطلبًا..

قال الإمام الغزالي في الإحياء ج١ ص١٦٧ "**حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبيرة فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير كمثل حي لا حراك به نسأل الله حسن العون**" انتهى كلام الإمام الغزالي.

وقد وضَّح -رحمه الله تعالى- أهمية الخشوع والخضوع في الصلاة، مستدلاً بالآيات والأحاديث في ذلك فقال -رحمه الله- ص١٦٥: تحت عنوان "بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب".

"اعلم أن أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه] وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيمًا للصلاة لذكره...؟!

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ نهي وظاهره التحريم.

وقوله تعالى: ﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم "**إنما الصلاة تمسكن وتواضع**"[١].

---

(١) قال في تخريج الإحياء: أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه من حديث الفضل بن عباس بإسناد مضطرب.

حصر بالألف واللام وكلمة "إنما" للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه الصلاة والسلام "**إنما الشفعة فيما لم يقسم**"(١) الحصر والإثبات والنفي.

وقوله صلى الله عليه وسلم "**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا**"(٢) **وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال صلى الله عليه وسلم "كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب**"(٣).

وما أراد به إلا الغافل" انتهى كلام الإمام الغزالي.

وقد بين رحمه الله أيضًا في الإحياء ج١ ص١٧١ كيفية تحقيق المعاني الصحيحة في الخشوع والخضوع في الصلاة فقال رحمه الله تعالى تحت عنوان: (بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة).

"فنقول: حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها. أما الشروط السوابق فهي الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائمًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧/٢)، وأبو داود (٣٥١٤)، وابن ماجه (٢٤٩٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ورواه الطبراني بنحوه.

(٣) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب أخرجه النسائي من حديث أبي هريرة "رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر. قال الحافظ العراقي إسناده حسن.

والنية فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فأعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال النبي ﷺ "**أرحنا بها يا بلال**"[1] أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها صلى الله عليه وسلم وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم، على الترك في المستقبل فطهر به باطنك فإنه موضع نظر معبودك.أما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وإنما يغفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي

---

(١) قال في تخريج الإحياء حديث أرحنا بها يا بلال الدارقطني في العلل من حديث بلال ولأبي داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح.

الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسًا رأسه من الحياء والخوف. وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوبًا منك هيهات فلا مطلوب سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك.

فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه وقد قال النبي ﷺ "**إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه**"[١] وأما الاعتدال قائمًا فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقًا مطأطئًا متنكسًا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهًا عن إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال.

---

(١) قال في تخريج الإحياء حديث إذا قام العبد إلى صلاته وكان وجهه وهواه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده.

واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مُطّلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان وإن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدًا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال أبو هريرة: "**كيف كان الحياء من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**"(١) وروى "من أهلك".

وأما النية فأعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه متقلدًا للمنة منه بإذنه إيَّاك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك

---

(١) قال في تخريج الإحياء حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق البيهقي في الشعب من حديث سعيد بن زيد مرسلا بنحوه وأرسله البيهقي بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل الدارقطني عن ابن عمر له وقال إنه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة.

وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفّر وجهك من الخوف. وأما التكبير فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد إنك لكاذب وإن كان الكلام صدقًا كما شهد على المنافقين في قولهم إنه صلى الله عليه وسلم رسول الله فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبّرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلامًا باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فأنك إنما وجهته إلى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تُقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السماوات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السماوات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقًا، وإذا قلت حنيفا مسلمًا فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم

المسلمون من لسانه ويده فإن لم تكن كذلك كنت كاذبًا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال وإذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فإن قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرًا مشفقًا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه وإذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائمًا للحال وإذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لُعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوافق لها وأنَّ استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فإنَّ ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ **"لا إله إلا الله حصني فمن**

دخل حصني أمن من عذابي"[1] والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل.

واعلم أن مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها.

فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان القلب ولا يتبع القلب. وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانوي به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه وأن المراد بالاسم هاهنا هو المسمى وإذا كانت الأمور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر

---

(١) قال في تخريج الإحياء حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصني أخرجه الحاكم في التاريخ وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جدًا وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه..

لا من حيث إنه مسخر من الله عز وجل ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى فإذا قلت الرحمن الرحيم فأحضر في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين، أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه ثم جدد الإخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم إذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الإعانة مطلقًا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوق إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحًا وتفصيلاً وتأكيدًا واستشهادًا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب الله عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الإجابة وقل آمين فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل"(١)

---

(١) قال في تخريج الإحياء الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عز وجل حمدني عبدي وأثنى عليَّ وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر مننه وإحسانه ولكل واحد حق فللرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهي والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق إخبار الأنبياء. وروى أن زرارة بن أوفي لما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ **فإذا نقر في الناقور** ﴾ خر ميتًا وكان إبراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ اضطرب حتى تضرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلي مغلوبًا عليه وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضًا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد والتعظيم والتمجيد. كان النخعي إذا مر بمثل قوله عز وجل ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ يخفض صوته كالمستحى عن أن يذكره بأي شيء

لا يليق به وروى أنه يقال لقارئ القرآن "اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا"(١).

وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم "إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت"(٢) وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة فإذا التفتَ إلى غيره فذكِّره بإطلاع الله عليه ويقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه وألزم الخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطنًا وظاهرًا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى رجلاً مصليًا يعبث بلحيته "**أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**"(٣) فإن الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء "اللهم أصلح الراعي والرعية"(٤) وهو القلب والجوارح وكان الصدّيق رضي الله عنه في

---

(١) قال في تخريج الإحياء حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق وقال الحديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي الحديث حسن صحيح.

(٢) قال في تخريج الإحياء حديث إن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي ذر.

(٣) قال في تخريج الإحياء حديث "لو خشع قلبه لخشعت جوارحه" كنز العمال (١٤٤/٣).

(٤) قال في تخريج الإحياء لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح.

صلته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يُعَظَّم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعًا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثًا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن إطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عز وجل ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه. وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرًا بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعًا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذُلاً وتواضعًا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذُلَّك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك ومؤكدًا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السماوات وملء الأرض ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتُمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذُل

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله فأنك من التراب خلقت وإليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الأعلى وأكده بالتكرار فإن الكرَّة الواحدة ضعيفة فإذا رَّق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلا التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرًا وسائلاً حاجتك وقائلاً رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أو ما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانيًا كذلك وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبًا وصرِّح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه ثم تُسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجددًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة مستأنفًا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وأنوي ختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها وقال صلى الله عليه

وسلم للذي أوصاه "صل صلاة مودع"[1] ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف ألا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله. كان يحيى بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تُعرف عليه كآبة الصلاة وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الإنسان نفسه على هذه الطاعة فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد وأما صلاة الغافلين فهي مخاطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته) . انتهى كلام الإمام الغزالي.

الصفة الثالثة:

العلم مع الذكر وهو منهج الإيمان لا يصح النهج إلا بهذا العلم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر].

---

(١) أخرجه البيهقي في الزهد رقم (٥٢٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٣٢) وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر].

والعلم على قسمين:

أولاً: علم المسائل والفتوى وهو مثل الدواء، لا يؤخذ إلا من الطبيب المتخصص، أي من العلماء المتخصصين المؤهلين، لأن الدواء إن لم يكن من المتخصصين قتل، أو يكون سببًا في قتل الغير، وهو فرض عين على كل مسلم، فيما يجب على المسلم تعلمه، من مسائل الطهارة والصلاة وغير ذلك، وفرض كفاية فيما عدا ذلك، من مسائل الإفتاء والأمور التي تحتاج إلى البحث والنظر والاستدلال للعلماء المتخصصين.

ثانيًا: علم الفضائل حتى تقوم الأمة على الأعمال الصالحة بشوق ورغبة وباحتساب للأجر، فالأصل في أي عمل أن يكون على أساس الإيمان والاحتساب.

قال صلى الله عليه وسلم "**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**"[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: "**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**"[2].

فعلم المسائل يصح به المنهج، وعلم الفضائل يصح به الاحتساب.

ولأهمية تعرف الناس على منهج الإيمان وهو العلم، جعل الله تعالى السعي إليه (في سبيله) حتى يرجع، لأن دين الإنسان لن يصح بدون العلم:

"**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**"[3].

ولأهمية منهج الإيمان وهو العلم، جعل الله تعالى الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم فرحا بما يصنع وجعل من في السماوات والأرض يستغفرون له...

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الإيمان "باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان"، وأخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين (٧٦٠)، ورواه أحمد وأصحاب السنن.

(٢) أخرجه البخاري (٢٢/١) (٣٧)، وأخرجه مسلم (٥٢٣/١) (٧٥٩).

(٣) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن (٢٩/٥) (٢٦٤٧)، وهو عند الطبراني في الصغير ورواه الدارمي.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"**(١).

ولشرف منهج الإيمان وهو العلم غفر الله تعالى بذاته العلية، لمعلم الناس الخير كذلك استغفرت ودعت له ملائكته وأهل السماوات والأرض، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير"**(٢).

---

(١) [رواه أبو داود والترمذي].

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

أما صفة الذكر لله تعالى.

فحتى يكون قلب العبد حاضرًا في كل عمل مع الله تعالى، فكل الأدعية والأذكار المقصود منها **ربط القلب بالله تعالى وحضوره في العمل**، فهناك **أساسان للمعصية:**

أولهما: الجهل **ثانيهما: الغفلة.**

فأما الجهل فيدفع بالعلم، وهو علم الدين، وأما الغفلة فتدفع بذكر الله تعالى؛ فيلزم كل يوم أن يتعلم الإنسان ما يصح به عبادته، وما يجعله محفوظًا من الشيطان قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"**[١].

---

(١) [متفق عليه].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"**[١].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه"، وقال: من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر"**[٢].

وفي الحديث وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فدلني على شيء أتشبث به قال: **"لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله"**[٣].

---

(١) [رواه مسلم].

(٢) [متفق عليه].

(٣) أخرجه أحمد بنحوه في المسند (١٨٨/٤، ١٩٠).

والذكر ذكران مطلق ومقيد، فالمقيد ما ارتبط بعمل معين أو قيده الشارع بوقت أو حال كدخول المسجد ودخول الخلاء وعند رؤية الهلال وغير ذلك.

والأذكار المقيدة مقصدها أن تأخذ بمجامع قلب الإنسان ليتصل بالله تعالى: "**أصبحنا وأصبح الملك لله**".

"**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك**" "**بسم الله توكلت على الله**".

لأنه لو قام بهذه الأعمال كان حاضر القلب مع ربه.

أما الأذكار المطلقة فكالتسبيح والتهليل...

وهذه الأذكار المطلقة أحب الله لعباده أن يقوموا وينشغلوا بها، ولكن ليس في أوقات معينة كالاستغفار والباقيات الصالحات والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومقصد العلم أن يعلم العبد أوامر الله تعالى المتوجهة إليه في ٢٤ ساعة، وعلم المسائل لا يصح أخذه إلا من أهله، وبه يصح الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم وامتثال الأمر من الله تعالى، ولابد من هذا العلم لمعرفة الأوامر المتوجهة إلينا، في البيع والشراء، والصلاة والصوم والزكاة والحج وسائر أركان الإسلام.

أما الاحتساب فهو طلب الأجر من الله تعالى وهذا لا يتم إلا بمعرفة علم الفضائل وعلم الترغيب، الذي به نعرف أجر الأعمال وقيمة الأعمال.

والعلم الذي يكون في حلقات التعليم في الخروج في سبيل الله هو علم الترغيب، وهو العلم الذي أعطاه الله للرسول صلى الله عليه وسلم حتى تتشوق أمته لامتثال الأوامر، وحتى تتحصل الأمة على صفة الاحتساب التي هي مطلوبة لامتثال أمر الله عز وجل لنعرف قيمة أعمال الإيمان، ونتحصل عليها عن طريق هذا العلم...

فالآن نحن عندنا الأعمال ولكن لا روح فيها، والدليل على ذلك أنها إذا فاتت لا نحزن، لماذا لأننا ليس عندنا الاحتساب وطلب الأجر عليها من الله كما كان عند الصحابة رضي الله عنهم..

إذا ضاعت منا الأموالُ نحن نحزن عليها لأننا نعرف قيمتها، فلذلك عندما تنشغل الأمة في حلقات التعليم بهذا العلم، أي علم الفضائل والترغيب تأتي الروح في الأعمال، وهكذا يزداد الإيمان بطريق الدعوة، ويزداد الاحتساب بطريق علم الترغيب وعلم الفضائل.

وهذا السبيل أي الدعوة هو سبيل الأنبياء، وهو غريب على النفوس فلا تميل إليه بالسرعة، لذلك أمر الله تعالى أنبياءه بمكارم الأخلاق حتى تميل النفوس للحق، وأنزل على الأنبياء علم الترغيب حتى تميل القلوب إليه سبحانه وتعالى...

فالله عز وجل أنزل هذا العلم على الأنبياء في الدنيا، وأعد لهم في الآخرة إذا عملوا به النعيم الأبدي، ومن فطرة الإنسان أنه إذا رأى مصلحة لنفسه يميل إليها، وإذا رأى مضرة يبتعد عنها، فالله عز وجل يعلم فطرتنا فلذلك أنزل لنا علم الترغيب حتى يأتي في قلوبنا الشوق والرغبة للأعمال.

الصفة الرابعة: إكرام المسلمين وحسن الخلق وهي حفاظة الإيمان، والإكرام عمل تطوعي يستجلب معية الله تعالى وتأييده، ونصرة الله تعالى وعونه، والفرض فيه هو أداء الحقوق، سواء للمسلم أو غير المسلم، وهذا الإكرام الذي هو من نوافل عمل الإنسان اشترط الله تعالى لقبوله، القيام بفرضه، وهو أداء الحقوق لأي أحد كان.

لذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته **حتى لا تفقد أعمالها وتفلس في ثروتها وذلك بقوله : "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار"**[1].

---

(١) [رواه مسلم].

فإذا عمل الإنسان العمل، واجتهد في صفات قبوله، ثم فرط في معاملاته وأضاع الحقوق، ضاعت منه ثمرة هذه الأعمال فلا يجدها أحوج ما يكون إليها...

فالفرض اللازم على كل مسلم أولاً هو حفظ الحقوق، ثم يأتي بعض ذلك النفل والسنة وهو الإكرام، فلما ظهر في المسلمين من يكرم ويؤدي نفل الأعمال، وهو في نفس الأمر مضيع للحقوق، كان التأكيد على أداء الحقوق وحفظها أولاً، حتى لا يأتي للإنسان يوم القيامة من يقول له أعطني صلاتك أو أعطني حجك، وذلك لإضاعة الحقوق...

فالله تعالى لا يقبل نفلاً ما لم تُؤدَّى الفريضة، **فلا يقبل الله تعالى الإكرام ويثيب العبد عليه حتى يؤدي حقوق أصحاب الحقوق.**

قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**"(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا**"(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يا ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى**"(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا يعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل**"(٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً فقال رسول الله صلى الله عليه**

---

(١) [متفق عليه].

(٢) [متفق عليه].

(٣) [رواه مسلم].

(٤) [رواه مسلم].

وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل"[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء**"[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "**سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال "الفم والفرج**"[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**"[٤].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن**

---

(١) [رواه مسلم].

(٢) [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

(٣) [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

(٤) [رواه أبو داود].

كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه"[١].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيقهون؟ قال: المتكبرون"**[٢].

فالعلاقة التي بين الله تعالى والعبد تبني على أساس علاقة العبد مع الآخرين، فعند وجود صفة الإكرام في الإنسان هذا يستجلب نصرة الله له جزاء لحسن معاملته.

فيؤدي الإنسان حق الوالدين وحق الجار، وحق المسلم بل حق كل ذي حق يلزم عليه أداؤه، هذا هو الفرض وهو الواجب، أما الإكرام الذي هو النفل أو الزيادة فهو خاص بالمسلمين، على وفق موعود الله تعالى الغيبي بأن تكون معاملته مع العبد، على حسب معاملة هذا العبد مع عباد الله تعالى "**الله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"**[٣].

"من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة"[٤].

---

(١) [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

(٢) [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه مسلم .

"الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من السماء"[1].

والإنسان يستجلب عون الله تعالى له بعونه لأخيه بالإكرام.

الصفة الخامسة: الإخلاص وتصحيح النية، وهي قبول الإيمان، فلا يقبل العمل بين يدي الله تعالى إلا أن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، لا يبغي منه جزاء ولا شكورًا، لأن الله تعالى غني عن الشريك، فمن أشرك معه غيره تركه لشريكه.

إذا توجَّه قلبك عن الله عز وجل إلى سواه، فرأيت المخلوق ولم تر الخالق، ونظرت إلى المخلوق ولم تنظر إلى الخالق، وقصدت المخلوق ولم تقصد الخالق، لم ينظر الله تعالى إلى عملك..

أورد الإمام ابن كثير في تفسيره عن الحافظ البزار بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"تُعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مُختّمة، فيقول الله: ألقوا هذا واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب والله ما رأينا منه إلا خيرًا، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أُريد به وجهي"**[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥/٢٣١)، والترمذي في سننه (٤/٣٢٣) وقال حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (٢/١٦٠) والحاكم في المستدرك (٤/١٥٩).

(٢) قال في تخريج الإحياء أخرجه الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن والبزار.

وعن الضحاك بين قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكًا فهو لشريكي يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له**"(١).

اطلب الله تعالى في أعمالك بعين الإخلاص، يكن ذلك أول جهادك فيه بتصحيح النية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت].

فكل الأعمال موقوفة على إخلاص القصد فيها لله تعالى وحده، وإلا صارت هباء منثورا...

فعن أبي أمامة قال: جاء رجل إلى ﷺ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الآخرة والذكر ماله؟ فقال رسول الله ﷺ : "**لا شيء له فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ لا شيء له ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه**"(٢) .

والإخلاص هو وصية رسول الله ﷺ والإنسان لا يحتاج مع تحققه إلى العمل الكثير، بل أقل الأعمال تثقل في الميزان، لحصول الإخلاص فيها، وتجردها لربها وباريها...

---

(١) أخرجه البزار بإسناد لا بأس به في مسنده "كشف الأستار ٢١٧/٤.

(٢) رواه أبو داود في السنن كتاب الجهاد "باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا، وأخرجه النسائي كتاب الجهاد "باب من غزا يلتمس الأجر والذكر".

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حيث بُعث إلى اليمن يا رسول الله أوصني قال: "**أخلص دينك يكفيك العمل القليل**"[1].

والمخلصون هم مصابيح الهدى في ظلمات الهوى، والنور الكاشف في الفتن العمياء التي لا يتبين أصحابها موضع القدم فيها، بل يتيهون في الأرض ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

فعن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء**"[2].

فإذا كانت نية الإنسان الدار الآخرة، وعقد قلبه على الإخلاص جمع الله تعالى أمره، وجعل غناه في قلبه، فهو على الرضى في جميع شئونه، زمام الدنيا في يده يُسيرها معه حيث يشاء...

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **نضَّر الله امرءًا سمع منا حديثًا فبلغه غيره فرُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من وراءهم ومن كانت الآخرة نيته جمع الله أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**"[3].

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه البيهقي في الآداب .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم "باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع" وقال حديث زيد بن ثابت حديث حسن، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى.

وروى الديلمي: "**إن الرجل ليعمل عملاً سرًا فيكتبه الله عنده سرًا، ولا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية، فإن عاد تكلم الثانية مُحي من السر والعلانية وكُتب رياء**".

وسئل الجنيد رحمه الله: "**يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب قال: كثير، قلت: فيكون قلب بلا لسان، فقال نعم قد يكون، ولكن لسان بلا قلب بلاء، وقلب بلا لسان نعمة، قلت فإذا كان لسانٌ وقلب، قال: فذاك الزبد بالعسل**".

فالإخلاص عند الموحدين، خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال، وترك السكون والاستراحة بهم في الأحوال...

إذا قام العبد إلى أي قول أو عمل، وهو يبتغي به مرضاة الله تعالى قاصدًا به ربه عز وجل، وهو في كل ذلك يعلم ويرى منّة الله عليه في التوفيق لهذا العمل، وأنه بالله تعالى وعنايته قد قام به وأداه، ليس بحوله ولا بقوته، ولا بفكره ومعرفته، لأن الله تعالى هو الذي خلق له اليد والقدم والعقل واللسان، وكل جوارحه التي يطيع بها مولاه، فالذي أنعم عليه بذلك هو الذي منّ عليه بالقول والفعل والعمل والقصد، فإذا استحضر كل ذلك وأجراه على قلبه، لم يقع في العجب الذي أساسه وأصله رؤية النفس وملاحظتها، والاغترار بها، وهو في ذات الوقت يرى عناية الله وحفظه أن وفقه لطاعته، أما المرائي فيعمل العمل لنفسه وحظوظها وهواها، ولنظر المخلوق، ممتنًا بهذا العمل على ربه فيكون بلاءه فيه..

قال أحد السلف الصالح: "**من سمع الكلام ليتكلم به مع الناس رزقه الله فهمًا يكلم به الناس، ومن سمعه ليعامل الله به في فعله، رزقه الله تعالى فهمًا يناجي به ربه عز وجل**".

فإلى أصحاب شهوة الكلام والنظر إلى سمع المخلوق، الغبن معكم كبير، وقد ضاعت منكم نصرة الله ومعيته، فلستم في سمعه وحفظه ورعايته، ولا توفيقه وعنايته ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه].

فسمع الله صوت الكليم موسى عليه الصلاة والتسليم، وأحاطه بحفظه ومعيته، لما كان يتكلم لسمع الخالق وقصد الخالق، وللدلالة على عزته وقيوميته...

وأنتم مع شهوة الكلام اخترتم سمع المخلوق فأعرض عنكم سمع الخالق (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى) (النجم) .

وفي الأثر "أن ملك الموت إذا جاء لقبض روح المؤمن، قال له ملكاه أنظرنا حتى نملأ مسامعه من الثناء الحسن، فيقولان جزاك الله عنا خيرا فإنك كنت ما علمنا سريعًا في طاعة الله تعالى، بطيئًا عن معاصيه تحب الخير وأهله وتعمل بما استطعت منه، فرب كلام حسن قد أسمعتنا ومجلس كريم قد أجلستنا، فأبشر بالموعود الصدق

بيننا وبينك، الوقوف بين يدي الله تعالى بالشهادة لك عنده غدا" .

وقال أحد السلف الصالح: "**غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء توهمت أني أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه، فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدمت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وطلبه لي أولا حتى طلبته**".

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: "يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه، ويا بادئ العارفين بما به عرفوه، ويا موفق العابدين لصالح ما عملوه، من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك، ومن ذا الذي يذكرك إلا بفضلك".

والله تعالى اختار واجتبى وأحب من شاء من خلقه في القدم بعلمه، قبل أن يخلقهم، فلما خلقهم استعملهم في هذا، واصطفاهم لذلك، فمحبة الله تعالى لخلقه سبقت محبتهم له، وسبقت خلقهم، منةً واصطفاءً واجتباءًا من لدنه ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى** ﴾.

وقال أبو سعيد رحمه الله وهو يتكلم عن الإخلاص لرجل معه: "**إني معلمك خوفا يجمع لك كل شيء، قلت ما هو قال: مراقبة الله عز وجل**" .

وقال رجل لأبي الحسن بن بشار: "**كيف الطريق إلى الله ؟ فقال له: كما عصيت الله تعالى سرًا تُطيعه سرًا حتى يُدخل إلى قلبك لطائف البر**".

وسئل بشر بن الحافي: "**بأي شيء بلغت هذه المنزلة؟، قال كنت أُكاتم الله حالي**" معناه أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري ويحجبه عن الناس.

وفي الأثر إن العبد ليقرأ "**إياك نعبد وإياك نستعين**" **فيقول الله تعالى كذبت لو كنت إياي تعبد لم تخف ولم ترج سواي، ولو كنت بي تستعين لم تسكن إلى مالك وأهلك**".

أقول: فنحن نصحح النية لأن الإخلاص لا يكون إلا في العمل، فإذا لم يكن العمل فلن توجد النية، ونحن نقوم بتصحيح النية في العمل المرة بعد المرة، حتى لا ننصرف من العمل إلا وهو خالص لوجه الله الكريم، ونراقب نيتنا في وسط العمل، فإذا تغيرت النية لأي عارض نسارع بتصحيحها مرة أخرى، حتى إذا وصلنا إلى نهاية العمل نستغفر الله عز وجل على تقصيرنا وتخليطنا فيها...

قال الحافظ الدمياطي رحمه الله تعالى: "**واعلم وفقني الله وإياك أن الشرط العام في قبول جميع أنواع الطاعات والفوز بأجرها وثوابها هو الإخلاص وكل عمل لا يصدر عن إخلاص فهو إلى الهلاك أقرب**".

وقد قال سيدنا سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: "**العلم كله دنيا والآخرة منه العمل، والعمل كله هباء إلا بالإخلاص، وقال أيضًا الناس موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون مغرورون إلا المخلصين والمخلصون على وجل حتى**

يُعلم ما يختم لهم به فإن أردت إحراز الثواب وحسن المآب فاجتهد في الإخلاص" انتهى كلام الحافظ الدمياطي.

إذا قال العبد لا إله إلا الله طالبه الله بها، وبحقيقتها وهو ألا تنسب الأشياء إلا إليه ﴿ **قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى** ﴾ [طه] **قال الإمام الخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل:** (قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى أي فمن إلهكما الذي أرسلكما "قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى " أي كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به، وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه، وقيل كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح). انتهى

فنسب الكليم عليه الصلاة والتسليم صلاح كل شيء وهداه إلى الله تعالى وحده لا سواه، ونسب كل صورة صورت في أي مخلوق إلى المُصور سبحانه وتعالى، فكل الأيدي في كل المخلوقات من صنع رب العالمين، والذي هداها للبطش وجعل فيها جميع منافعها على غير مثال سابق وأبدعها هو بديع السماوات والأرض، والذي شق السمع والأبصار والأفئدة بجميع وظائفها، آية وعبرة للمتوسمين هو الخلاق العليم، ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩)** ﴾ [النحل].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) ﴾ [آل عمران].

﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ﴾ [المرسلات].

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴾ [النجم].

لا يكون الله عز وجل في قلب أي أحد إليه المنتهى، حتى يرى قدرته من وراء كل شي، فالله عز وجل هو الذي أضحك الضاحك، وأسعد السعيد، وأفرح الفرح، والله تعالى هو الذي أبكى الباكي وأحزن الشقي وأبأس البائس...

والله عز وجل أحيا كل الأحياء في كل المخلوقات وسائر المبدعات، وهو الذي أمات كل الموتى في كل لحظة وكل زمن وكل مكان، من عموم الإنسان أو الحيوان أو الطير أو الزواحف أو الحشرات، أو جميع ما خلق الله من الموجودات ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور].

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون].

أقول: فأمر الله تعالى رسوله المجتبى ونبيه المصطفى، أن ينسب الأفعال العظيمة في الملك والملكوت إلى مكونها سبحانه وتعالى، فالأرض ومن فيها إليه وحده ملكًا وخلقًا وعبيدًا، وهو رب السماوات السبع ومن فيها ورب العرش العظيم استقلالاً، لا رب سواه وهو الذي بيده ملكوت الأشياء لا غيره، وهو الذي يجير ولا يجار عليه...

وقد وضّح كل ذلك وبيّنه الشيخ علوان في الفواتح الإلهية حيث قال : "قل لهم يا أكمل الرسل إلزاما وتبكيتًا لمن الأرض المفروشة، ومن فيها وعليها من أنواع النباتات والحيوانات والمعادن، ومن المظهر لها من كتم العدم، ومن المزين المنبت عليها من الأجناس المختلفة، أخبرونا عن موجدها ومخترعها إن كنتم تعلمون، أي من ذوي الشعور والإدراك سيقولون في الجواب البتة لله، إذ لا يمكنهم إنكار الصريح المحقق...

قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما اعترفوا بأن الأرض ومن عليها لله سبحانه موبخا عليهم ومقرعا، أتنكرون أيها الجاهلون قدرة الله على إعادة المعدوم، وحشر الأجساد أفلا تذكرون، ولا تستحضرون قدرة الحق على إبداع هذه البدائع وإيداع هذه العجائب المستحدثة على الأرض، بلا سبق مادة ومدة، ومع ذلك تنكرون إعادة من عليها سيما بعد سبق المادة، مع أن هذا أهون علينا من ذلك...

قل لهم أيضًا إلزاما وتبكيتا من رب السماوات السبع الشداد المطبقات المزينات بالكواكب، ومن رب العرش العظيم المحيط بالكل المحرك لها على وجه السرعة التامة، والحركة السريعة الشديدة، بلا تخلل سكون أصلا، سيقولون لله، إذ لا يسع لهم الخروج عن مقتضى صريح العقل...

قل لهم يا أكمل الرسل أفلا تتقون وتحذرون عن قهر الله وغضبه، تنكرون منه أهون مقدوراته وأسهل مراداته، مع أنكم قد اعترفتم بأشدها وأصعبها ..

قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما تأكد إلزامهم وإفحامهم، كلاما جمليا شاملا لعموم مقدورات الله ومراداته، من بيده وقبضة قدرته وتحت حوله وقوته ملكوت كل شيء ملكه يتصرف فيه حسب إرادته واختياره، على سبيل الاستقلال، ومن هو يجير يغيث ويعين الملهوف والمضطر إذا دعاه ولا يُجار ولا ينصر عليه، إذ هو سبحانه يعلو ولا يُعلى عليه أخبروني إن كنتم تعلمون، أي من ذوي

الخبرة والشعور، سيقولون أيضًا بلا تردد لله، اختصاصا وملكا وتصرفا واستقلالا إرادة واختيارا..

قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما أثبتوا اليد الغالبة والقدرة التامة الكاملة والفاعلية المطلقة بالإرادة والاختيار اختصاصا واستقلالا، فأنى تسحرون أي من أين تُخدعون، وتلبسون للخروج عن مقتضى العقل والرشد في المقدور والمخصوص والمراد المعين، حتى تنكروا له ولم تقبلوا وقوعه مع ورود الآيات الكثيرة الكبيرة، في الكتب الإلهية والصحف السماوية مطلقا الدالة على وقوعه " انتهى .

وقد بين الأئمة رحمهم الله تعالى كيفية إخلاص العمل لله تعالى وحده، وطريق استحضار النيات الصالحات، والسعي إلى تحسينها والتحذير من دخول الآفات عليها في الأعمال حيث قالوا رحمهم الله: **"الإخلاص سلامته من وصفين وهما الرياء والهوى، ليكون خالصًا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا، فقال** ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾ **فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصًا، ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا...**

فكذلك معاملتنا لله عز وجل إذا شابها رياء بالنظر إلى مخلوق أو هوى من شهوة نفس ولم تكن خالصة، لم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة، ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا...

وروينا عن سعيد بن أبي بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري "**أنه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى**"

وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز "**اعلم يا عمر أن الله تعالى عون للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى إياه ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك**" وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك ﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح...

وقال بعض السلف "**رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرًا وإن لم ينصب، رُب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية**".

وكتب بعض الأدباء إلى أخيه "**أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل**" وقال داود الطائي "**من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يومًا إلى نية صالحة فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل الأعمال الصالحات لكان مرجوعًا إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى لأن سرها كان همة النفس لعاجل عرض الدنيا**".

وقال محمد بن الحسين "**ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله**".

وقال أيوب السختياني وغيره "**تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال**".

وقال الثوري: "**كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم**".

وقال بعض العلماء: "**اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير**".

وقال زيد بن أسلم "**خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهتم لله تعالى بمعصية وتمسي ولا تهتم بمعصية**"...

وكذلك قال بعض السلف في معناه أن نعمة الله تعالى أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك" انتهى.

وقد قال العلماء في معنى قوله "**نية المرء خير من عمله**" **لأن نية المؤمن دائمة ومتصلة والأعمال منقطعة وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة وخلد أهل الشرك في النار لدوام نيات أهل التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر**".

قال العلماء "والنية عند قوم الإخلاص بعينه وعند آخرين الصدق، وعند الجمهور إنها صحة العقد وحسن القصد، وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الأعمال، وأول كل عمل، وقد قال الله تعالى ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ قيل في التفسير خالصًا فسمى الخالص كثيرًا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ يعني غير خالص وسميت سورة "قل هو الله أحد" سورة الإخلاص لأنها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده، لا يختلط بذكره جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي، وكذلك قيل سورة التوحيد إذ لا شريك فيها من سواه، فأول سلطان العدو على القلب عند فساد النية، فإذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه، وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية، فإذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى، فإذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس" انتهى .

وقد لخص الحافظ الدمياطي المقصود من صفة الإخلاص وتصحيح النية، وبين أعلى رتب الإخلاص وكيف يكون الإنسان من عباد الله المقربين المصطفين حيث قال في المتجر الرابح ص٩٧٤:

"وإن أخذ الله بيدك ووفقك للأعمال الصالحات ورقَّى همتك عن الالتفات إلى ثوابها وجعل قصدك بها وجهه الكريم لا خوفًا من الجحيم ولا رجاء دار النعيم فقد وفقك لأعلى رُتب الإخلاص وجعلك من عباده المقربين الخواص ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وبالله التوفيق" انتهى كلام الحافظ الدمياطي.

الصفة السادسة:

الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الدين، وذلك ببذل الجهد والخروج في سبيل الله تعالى، وهي فطرة الإيمان وصفة المسلم، التي تأبى على صاحبها بعد أن ذاق حلاوة الإيمان، وأشرقت روحه بالعرفان أن ينعم بطعام أو شراب أو لذة من لذائذ الدنيا، أو شهواتها وهنالك من لم يتعرف على هذا الإيمان، ولم تحيا روحه بنسائم التقوى ومعرفة الخالق المعبود سبحانه وتعالى، وتعظيمه وإجلاله وتمجيده أمام كل أحد، والدلالة عليه عند كل مخلوق، هذه هي فطرة الإيمان، التي لا تحيا إلا بأن يعرفها كل أحد، والتي لا تكتمل عند المؤمن إلا بالدعوة إليها في عموم البشرية وسائر الإنسانية، رغم ما يكتنف ذلك من صعاب، وما يحيط به من متاعب ومشاق، قد تصل إلى بذل النفس وإنفاق المال وغربة الأوطان، كل ذلك يكون هينا أمام هذه الفطرة وتلك الصفة التي يجدها صاحبها سهلة عليه، وميسورة لديه، وهذا من تأييد الله تعالى وعونه وتوفيقه لمن قام للدلالة عليه، وتعظيمه وعبادته وحده لا شريك له...

حيث ييسر لهم ما هو صعب عسير، ويجعل العسير في ميزان العقل والفهم لديهم يسيرًا، فيبذلون أنفسهم وأموالهم حبًّا وكرامة وسعادة وبشرًا، ويضحون بحاجاتهم وشهواتهم ولذائذهم من أجل الدعوة إليه سبحانه ونشر دينه في العالمين.

وها هي أول الأمثلة على ذلك نسوقها للمتأملين، ليتعرفوا على فطرة الإيمان في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كيف كانت، ليبعث من أراد السير على نهجهم هذه الفطرة من نفسه، إن كانت مفقودة وغير موجودة، وليتزين بهذه الفطرة من لم يحيا بها، حتى هذه الساعة المشهودة...

وهذا المثال هو قصة إسلام عروة بن مسعود رضي الله عنه ودعوته لقومه مما ذكره ابن إسحاق **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن ثقيف اتبع أثره عروة بن مسعود، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنهم قاتلوك" وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم.**

فقال عروة: يا رسول الله! أنا أحب إليهم من أبكارهم، وكان فيهم كذلك محببًا مطاعًا، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه بمنزلته فيهم، فلما أشرف على عُلَيَّة له وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فقيل لعروة ما ترى في (دمك)؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم، فدفنوه معهم فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه: "إن مثله في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه".

وفي إسلامه رضي الله عنه ودعوته قومه إلى الإسلام ثم قتلهم إياه شهيدًا أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما أنشأ الناس الحج سنة تسع قدم عروة بن مسعود رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمًا فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع إلى قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"إني أخاف أن يقتلوك" قال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني.**

فإذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى قومه مسلمًا فرجع عشاءً فجاء ثقيف يحيونه فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل عروة مثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه"[١].

فانظر إلى فرح عروة بن مسعود رضي الله عنه بشهادته، وأنه بلَّغ الإسلام، ودعى قومه إلى الدين، وانظر إلى فطرة الإيمان فيه، كيف أبت أن تستقر إلا أن تنتقل إلى الآخرين، حتى مع خوف فوات النفس وبذلها من أجل الدين.

---

(١) قال الهيثمي (٣٨٦/٩): [رواه الطبراني، وروى عن الزهري ونحوه وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن وأخرجه الحاكم بمعناه].

وها هو المثال الثاني لفطرة الإيمان، عند صحابة النبي صلى الله عليه وسلم كيف أبت أن تبقى، دون أن تدعو لهذا الدين وتعظيم رب العالمين، بمجرد دخول الإيمان إلى قلب صاحبها، وهي قصة إسلام عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وهو ما أخرجه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : **ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: :أرسله يا عمر! إدن يا عمير!" فدنا ثم قال: أنعم صباحًا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير! بالسلام تحية أهل الجنة" قال: أما والله يا محمد! إن كنت بها لحديث عهد. قال: "فما جاء بك يا عمير؟" قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه. قال: "فما بال السيف في عنقك؟" قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئًا؟ قال: "اصدقني ما الذي جئت له؟" قال: ما جئت إلا لذلك. قال: "بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له والله حائل بينك وبين ذلك" فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا**

أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن وأطلقوا أسيره ففعلوا". ثم قال: يا رسول الله إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تُنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه فحلف لا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بنفع أبدا[١].

قلت: فانظر إلى فطرة الإيمان، كيف أبت على عمير بن وهب رضي الله عنه إلا أن يكون داعيًا إلى الله تعالى، وأن يكون سببًا للهداية بعد أن ذاق حلاوتها، فقام لدلالة الناس على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام، وهي فطرة الإيمان...

كما تألقت فيه صفة المسلم، الذي إذا شعر أن هنالك إنسانًا محرومًا من الهداية والإيمان، لا يهدأ حتى يدله عليهما...

---

(١) كذا في البداية (٣/٣١٣).

وقد كان ثمرة هذا الحرص على الهداية وإيمان الناس، أن هدي الله للإسلام على يده رضي الله عنه هكذا أخرجه ابن جرير عن عروة بطوله. كما في كنز العمال وزاد: "**فلما قدم عمير رضي الله عنه مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديدًا فأسلم على يديه ناس كثير**". وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر بن الزبير رحمه الله – نحوه.

قال الهيثمي وإسناده جيد، وقد كان بعد إسلامه أحب إلى عمر بن الخطاب: من ولده وهو ما روى عن عروة بن الزبير نحوه مرسلاً وقال فيه: ففرح المسلمون حين هداه الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "**لخنزير كان أحب إلي منه حين اطلع وهو اليوم أحب إليَّ من بعض بني**" وإسناده حسن. انتهى.

وأخرجه الطبراني أيضًا عن أنس رضي الله عنه موصولاً بمعناه مختصرًا . قال الهيثمي (٢٨٧/٨): ورجاله رجال الصحيح – ا./هـ.

وأخرج الواقدي عن عبد الله بن عمرو بن أمية عن أبيه قال: "**لما قدم عمير بن وهب رضي الله عنه مكة بعد أن أسلم نزل بأهله ولم يلتق بصفوان بن أمية، فأظهر الإسلام ودعا إليه، فبلغ ذلك صفوان فقال: قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله أنه قد ارتكس وصبأ، فلا أكلمه أبدًا ولا أنفعه ولا عياله منفعة فوقف عليه عمير**

وهو في الحجر وناداه فأعرض عنه فقال له عمير: أنت سيد من سادتنا أرأيت الذي كنا عليه من عبادة حجر وذبح له؟ أهذا دين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة" كذا في الاستيعاب وقد ظل عمير رضي الله عنه حريصًا على إيمان صفوان بن أمية رضي الله عنه حتى كان سببًا في إسلامه ورزقه الله تعالى الإسلام بسببه وحرصه عليه.

وهذه فطرة الإيمان وهي صفة الدعوة إلى الله تعالى، التي انبعثت مع سيدنا **ضمام بن ثعلبة** رضي الله عنه، عند إسلامه فحرص على قومه سعد بن بكر حتى يكونوا في الهداية، ويتعرفوا على الإسلام وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فكان خير وافد وفد على قومه.

وهو ما أخرجه ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا ابن عبد المطلب" فقال: أمحمد، قال: "نعم".

قال يا ابن عبد المطلب! إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك. قال: "لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك" فقال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: "اللهم نعم!" قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئًا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

قال: "اللهم نعم!" قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك: آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: "اللهم نعم!" قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة والصيام، والحج وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة

منها كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله وسأؤدي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص ثم انصرف إلى بعيره راجعًا قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة".

قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم أن قال: بئست اللات والعزى.

فقالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.

فقال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه.

قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلمًا.

قال يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة، وهكذا رواه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق وأبو داود نحوه من طريقه، وعند الواقدي: فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل وامرأة إلا مسلمًا وبنوا المساجد: وأذنوا بالصلاة. كذا في البداية (٥/٦٠).

وأخرجه الحاكم أيضًا في المستدرك (٣/٥٤) من طريق ابن إسحاق بنحوه ثم قال: قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله، وهذا صحيح. انتهى، ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

وهذا مثال آخر لفطرة الإيمان، كيف تحمل صاحبها على طلب الهداية لكل أحد، والحرص على أن يعبد الله تعالى في الأرض، عن طريق نشر الإسلام بين عموم الناس، وهي قصة إسلام سعد بن معاذ رضي الله عنه عندما دعاه سيدنا مصعب بن عمير إلى الإسلام بالترغيب من أسعد بن زرارة، وهو من أورده الإمام ابن كثير في البداية حيث قال رحمه الله: "**وقد قال أسعد لمصعب: أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان.**

قال فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت.

ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن – وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف-: قالا فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله ثم قال: لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟

قالا: تغتسل فتطهر وتُطهِّرُ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عائدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير.

فلما رآه قومه مقبلا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل؟ كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال فوالله ما أمسي في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة. ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون) كذا في البداية (١٥٢/٣).

وهذه فطرة الإيمان في الدعوة إلى تعظيم الله تعالى، وتعظيم أوامره، والحرص على ذلك في الناس، وهي دعوة عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه في قومه، وهو ما أخرجه الروياني وابن عساكر عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: "خرجنا حجاجًا في الجاهلية في جماعة من قومي، فرأيت في المنام وأنا بمكة نورًا ساطعًا من الكعبة، حتى أضاء لي جبل يثرب وأشعر جهينة وسمعت صوتًا في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء، ثم أضاء لي إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة، وأبيض المدائن وسمعت صوتًا في النور وهو يقول : انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء، ثم أضاء لي إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة،

وأبيض المدائن وسمعت صوتًا في النور وهو يقول ظهر الإسلام وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام. فانتبهت فزعًا فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث، فأخبرتهم بما رأيت. فلما انتهيت إلا بلادنا جاء الخبر أن رجلاً يقال له أحمد قد بعث، فخرجت حتى أتيته وأخبرته بما رأيت فقال "يا عمرو بن مرة أنا النبي المرسل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام وعبادة الله وحده ورفض الأصنام، وبحج البيت، وصيام شهر رمضان – شهر من اثني عشر شهراً – فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار فآمن يا عمرو! يؤمِّنك الله من هول جهنم" فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام وإن رغم ذلك كثير من الأقوام، ثم أنشدته أبياتًا قلتها حين سمعت به– وكان لنا صنم وكان أبي سادنه فقمت إليه فكسرته ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم وأنا أقول:

شهدت بأن الله حق وأنني * لآلهة الأحجار أول تارك

وشمرت عن ساقي الإزار * أجوب إليك الوعث بعد الدكادك

لأصحب خير الناس نفسًا * رسول مليك الناس فوق الحبائك

فقال النبي صلى الله عليه وسلم "مرحبًا بك يا عمرو".

فقلت: بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى قومي لعل الله أن يمنّ بي عليهم كما منَّ بك علي. فبعثني فقال: "عليك بالرفق والقول السديد، ولا تكن فظا، ولا متكبرًا، ولا حسودًا" فأتيت قومي فقلت: يا بني رفاعة! بل يا معشر جهينة! إني رسول رسول الله إليكم أدعوكم إلى الإسلام وآمركم بحقن الدماء وصلة الأرحام، وعبادة الله وحده ورفض الأصنام، وبحج البيت، وصيام شهر رمضان - شهر من اثني عشر شهرًا - فمن أجاب فله الجنة ومن عصى فله النار".

كذا في كنز العمال وأخرجه أبو نعيم بطوله كما في البداية والطبراني بطوله كما في المجمع.

أقول: والآثار في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم يتعذر فيها الاستقصاء لكثرتها وتنوعها، والشاهد منها أن صفة الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الدين هي فطرة الإيمان التي كانت فيهم، وصفة المسلم التي تأبى أن تهدأ أو تهنأ وهنالك من هو محروم من هذا الخير كيف لا تدلهم عليه؟!...

وكيف نبذل النفس والمال لإعلاء كلمة الله تعالى، وحتى يأتي في قلوبنا وقلوب الناس عظمة الله تعالى، وعظمة أوامره، وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم وعظمة هذا الدين...

هذه هي الصفات الست التي يتدارسها أهل الدعوة أثناء خروجهم، والتي هي منهج تربوي إصلاحي لعموم الأمة، للقيام بالدعوة والتزكية، فعلى وفق مقتضاها، وبتطبيقها والمحافظة عليها، يكون السير على أحكام الدين بإذن الله تعالى بالسهولة واليسر، على عموم المكلفين وأمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله تعالى أن يشرح صدورنا لما يحب ويرضى، وأن يأخذ بأيدينا ونواصينا إلى سبيل التقوى، على هدي وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم ... آمين

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

وهب لنا خشية تُطهر بها قلوبنا، وتعفو فيها عن ذنوبنا، وتصحح لها مقاصدنا

ونياتنا، فنحظى عندك بالقبول لا بالرد،

وتجود بها علينا بالعطايا والخفايا والمنن ما ليس له حد،

اللهم فطهر جوارحنا من المخالفات، واحفظ قلوبنا من المهلكات،

يا قابل الدعوات، وصاحب العطيات مُنّ علينا من فضلك،

واشملنا بعفوك، عن كل صغير وكبير، وجليل وحقير، فيما مضى وانقضى

وفيما هو آت إلى الممات، واغفر لآباءنا وأمهاتنا وذرياتنا وإخواننا

وأصحابنا وعلمائنا ومشايخنا ومن له حق لازم علينا والمسلمين والمسلمات

والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات،

إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ملحق لفتاوى ورسائل

كبار العلماء

في العالم الإسلامي

في أهل التبليغ والدعوة

﴿ فضيلة الشيخ أبو مالك محمد بن إبراهيم شقرة ﴾

حيث أثنى على عمل الدعوة والتبليغ في كتابه "الحق ما شهدت به العلماء" وإليك مقتطفات من كلامه..

حيث قال صفحة ٣٤ :

"وأُشهد الله سبحانه، أني قد رأيت من جماعة التبليغ حرصًا شديدًا على لزوم الآداب الشرعية، والمداومة عليها، ما لم أر من غيرها من الجماعات الأخرى، ثم نجد فيهم من التواصي بالحق والصبر، ما يُبقي الحق قائمًا لابثًا فيهم لا يعرض له ضعفٌ ولا ينتابه زوال ولا يعزوه تغيرٌ، يعينهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الحديث القدسي: "**وما تقرب إليَّ عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه،...**" **الحديث**

وأما منهجهم العلمي التربوي الذي يصدروا عنه جميعًا فهو مؤسس على كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله تعالى، هذا الكتاب الذي كتب الله له الرفعة والظهور، والقبول، والرضا في الناس حتى إنه لا يكاد يُعرف في حياة المسلمين هذه كتاب حظي بقبول الناس والعناية به ما حظي بمثله هذا الكتاب، ولا أحسب ذلك إلا دليلاً على صدق إخلاص مؤلفه وقد أفادت الأمة كلها منه في كل القرون التي خلت وسائر البلاد التي سعدت به خلالها أيما إفادة".

وقال ص٤٢:

"ولقد رأيت في جماعة التبليغ في دعوتهم الميدانية ما يستوجب من الجماعات الأخرى أن تظاهرها، وتساندها في الطريق التي تمشي فيها، ومن فوق أديمها، فجماعة التبليغ لها من السمات والأمارات الطيبة التي تنشدها كل جماعة تحرص على نفعها وما يصلح من شأنها ما يُذكرنا بالهدي النبوي الذي عاش عليه أصحاب النبي رضوان الله عليهم، وأسعدوا به أنفسهم ما عاشوا من ذلك :

١- تحريهم هديه صلى الله عليه وسلم في سلوكهم الأخلاقي وفي أعمالهم كلها وهي ما يُعرف بأعمال اليوم والليلة جميعًا والتماسهم ذكر كل عمل يخصه منها عند فعله أو الإقدام عليه.

٢- ومنه: أن فيهم الشجاعة التي تُقدرهم على دعوة الناس جميعًا والتحدث إليهم في الدين وأحكامه وشرائعه وما يحملهم على الاقتناع بعقيدته وأحكامه.

٣- ومنه قدرتهم الفائقة على جمع الناس آلافًا مؤلفة وتنظيمهم مع البساطة الواضحة.

٤- ومنه: حرصهم على دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ليكونوا معهم بإسلامهم وإنقاذهم من نار جهنم.

٥-ومنه: تحملهم مشقات الأسفار والإنفاق على أنفسهم فيها من جيوبهم وخالص أموالهم.

٦- ومنه: إعراضهم عن النيل والطعن عليهم وأخذهم أنفسهم بالوقوف عند محارم الله إلى غير ذلك من الآداب القرآنية التي لا نجدها في الجماعات الأخرى إلا على قلة".

وقال ص ٤٥:

"وقد رأيت من ينكر عليهم ما يحرصون عليه مما يسمونه خروجًا في سبيل الله، وكان حقًا عليهم أن ينكروا عليهم المكاسب الكبيرة التي يحققونها في خروجهم هذا وهي دخول غير المسلمين في الإسلام أفرادًا وجماعات، ووددت لو أنهم يخرجون للناس ما في عيباتهم على أولئك ليدعوا عنهم الإنكار الذي لا يأتي بفائدة بل يدل ممن ينكره عليهم إلا على حسد واسع قوي الضلوع في الصدور" .

وقال ص ٤٦ - ٤٧ :

"وقد علمنا من سلوك جماعة التبليغ أنها كاشفة بهذا النصح عن مكنون صدرها في الدعوة إلى أهم شعب الإيمان التي تمثلها الصفات الستة التي ركّزت في برنامجها الدعوي عليها وفي عامة الأحاديث والمحاضرات التي تخاطب الناس بها في مراكزها والمساجد التي تغشى فيها الناس".

وقال ص ٥٠:

"وظني في جماعة التبليغ أنها هي الجماعة التي تسعى في فجاج الأرض، تبحث عن الخير لنفسها ولأمتها وهي فيها لا تريد من الناس إلا أن يدعوا لها بظهر الغيب ويستسقوا لها خير السماء تأييدًا من الله".

وقال أيضًا ص٥٠:

"ولست غاليًا في وصف جماعة التبليغ، وهي الجماعة العَلَمُ الماثلة في جهات الأرض في كل وقت من أوقات الزمن الذي يُحصى فيه عمل الداخل فيه والخارج منه إحصاءً يثقُل به الأجر، ويخف فيه ثقل الذنب، ويفرح فيه الطائعون، ويأمن فيه الخائفون ".

وقال ص ٥١:

"أما كان حريًا بجماعة التبليغ أن تُعزيهم توجيهات القرآن السَّنية فيقفوا عندها لا يضرهم معها ما يقوله الناس أو قل السفهاء فيهم مثل قوله سبحانه : ﴿ **وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [الأعراف] وقوله ﴿ **وهو السميع العليم** ﴾ [الأنبياء] وغير ذلك من التوجيهات القرآنية العظيمة وذلك هو الذي نعهده منهم، وحسبهم ذلك، فقد حازوا من الخلق ما يحبسهم عن الوقوع في مذامِّ الأمور أو الانتصار للنفس".

وقال ص ٥٤:

"ومن أحسن ما يُعجبُ في اسم جماعة التبليغ أنها قبست اسمها (التبليغ) من وصف الله سبحانه نبيه من قوله: ﴿ **إن عليك إلا البلاغ**﴾ [الشورى: ٤٨]، وهذا الاسم يحملها على أخذ أنفسها ببلاغ نفسها أولاً ثم بإبلاغ الناس ما يقدرون على فهمه والعمل به ثم دعوتهم إليه ثانيًا وهذا! ما أمرهم الله به لأنه المقدور المستطاع ﴿ **فاتقوا الله ما استطعتم** ﴾ [التغابن: ١٦]".

وقال ص٥٥ – ٥٦:

"ويجب أن تكون من الأمة مؤازرة لجماعة التبليغ فيما يُنسب إليها من أنه عمل بدعيّ ذلكم هو: الارتحال والسفر إلى بلدان العالم ودعوة أهلها إلى الإسلام الحق وبخاصة غير المسلمين إلى الإسلام، فهو عمل كان واجبًا على الدول والحكومات القيام به، لما يحتاجه من مال طائل، وجهد كبير، وهذا لا يحتاج إلى طول نظر وتأمل، فلما أن صار إلى جماعة التبليغ وأصبح هما من همومها، وشغلاً تراه واجبًا عليها صار من البدع المذمومة عند طائفة من الناس ألا ساء ما يدَّعون فبدلاً من أن يلتئموا إلى جماعة التبليغ في عملهم الذي صار بدعة مذمومة عند من لا يستحيي من الخالق، ولا من الخلق، فلماذا هذا القول الذي يجعل من قائله أضحوكة (أراجوزية) يُخجل من رفع الصوت بها "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" ولا حول ولا قوة إلا الله وأود أن أقول لكم وللأمة كلها: إن الزمن الذي أمضته جماعة التبليغ في عملها الدعوي، وانصرافها إلى الجهد العملي الذي أثبتت به نجاحها في دنيا الناس وفي أقطار العالم، يكفيها شهادة لها، أحب ذلك من أحب، وكره ذلك لها من كره".

وقال ص ٦٢:

"ولست أعلم من أحوال جماعة التبليغ إلا ما أعلم من أحوال سائر المسلمين، إلا أن فيهم من الأدب ما يحملك على احترامهم، والأخذ من فيئهم الأخلاقي، والإفادة من تجربتهم الدعوية التي مازتهم عن سائر الجماعات الإسلامية، لطول تجربتهم، ثم لحسن توجههم وصدق عزمهم، وإذ ذلك كذلك، فإن لهم من رصيدهم الأخلاقي السلوكي ما يكفي لتنحية السلبيات القليلة التي تعروهم ﴿**ولكل وجهة هو موليها**﴾".

وقال ص ٦٤ : "ولقد علمت من أحوال جماعة التبليغ، التي خبرتهم بها من خلطتي بهم، ووقوفي على سيرتهم العملية، أنهم لا يقتتلون على المال، ولا يتحاسدون في قنيته، ولا يتناوشون على أخذه ورده، في نقصه أو زيادته، وكل من يخرج منهم – بمصطلحهم – في سبيل الله، ينفق على نفسه من ماله، ورأيت البركة تحل في نفقة الفقير منهم أو قليل المال، حتى إنها لتكاد تصبح مساوية للأغنى والأكثر مالاً، وأكاد أقطع أنه ما من واحد منهم إلا وقد يمم شطر الهند وباكستان، فلا تجده إلا مُنفقًا على نفسه في رحلته أو سفره هذا وغيره من حر ماله، في حين أن غيرهم من الجماعات الأخرى على غير هذا الأمر الحسن، وهذا فيه أصدق الدليل على زهادتهم في المال، وحرصهم على أن لا يكون له سلطان عليهم".

﴿ انتهى كلام فضيلة الشيخ أبو مالك محمد بن إبراهيم شقرة ﴾

فهرس الموضوعات





﴿من هم أهل الدعوة﴾

كلمات مضيئة

﴿فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم شقرة﴾

ولقد رأيت في جماعة التبليغ - في دعوتهم الميدانية - ما يستوجب من الجماعات الأخرى أن تظاهرها، وتساندها في الطريق التي تمشي فيها، ومن فوق أديمها، فجماعة التبليغ لها من السمات والأمارات الطيبة التي تنشدها كل جماعة تحرص على نفعها وما يصلح من شأنها ما يذكرنا بالهدي النبوي الذي عاش عليه أصحاب النبي رضوان الله عليهم، وأسعدوا به أنفسهم ما عاشوا.

انظر ملحق الفتاوى بآخر الكتاب